خلاصة إرشاد الأنام

بشرح وصايا أبي حنيفة الإمام

تأليف

حفيد الرسول

الشيخ جميل بن محمد علي حليم الشافعي الأشعري

خادم الآثار النبوية الشريفة

تلخيص

السيد الشريف الدكتور محمد رئيس الشامي

أستاذ الدراسات الإسلامية

بجامعة كراتشي باكستان

دار الماتريدي

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

دار الماتريدي

للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان:

المزرعة. شارع نويري. بيروت. لبنان.

البريد الإلكتروني:

darulmaturidi٠١@gmail.com

تلفون:

+٩٦١٧٠٣٢٠١٦٣

+٩٢٣٣٣٣١١٨٦٦٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نُبْذَة تعريفِيَّة عن حياةِ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم

من منارة الشرق ومهد العلم، بيروت مدينة العلم والعلماء، سطر المجد كتابًا بأحرفٍ ذهبيةٍ تسرد سيرةَ رجلٍ عرف قدرَ الآخرة فسعى لأجلها. هو السيد الشريف الحسيب النسيب رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد حليم، الحسينيُّ نسبًا، الأشعري عقيدةً، الشافعي مذهبًا، الرفاعي القادريّ طريقةً، خادم الآثار النبوية الشريفة.

هي حكايةٌ بدأت بيتيمٍ وهو ابن عشرٍ تقريبًا لا أمَّ له ولا أبَ أقبل أحسن الإقبال يتابع دروس العلم، لا ينقطع عن مجالس العلم والإقراء ولا يترك مدارسة العلم وينقل ما سمعه عن المشايخ . وقد بلغت مسموعاته وقراءاته بالأسانيد العالية من شتى أنواع الفنون من الكتب الحديثية الست كالصحيحين، والموطإ، والسنن، والكتب الفقهية ككتاب الأم وغيره، وتفسير القرءان كالنهر الماد، والمصطلح كألفية العراقي، والسيرة كألفية العراقي، وفنون العقائد واللغة والبلاغة المئات على مشايخ من لبنان وسوريا والعراق والباكستان والهند ومصر وأندنوسيا ومكة والأردن وغيرها من البلاد.

وفي سنة ١٩٧٩ر استلم الخَطابة في مساجد بيروت وأجاد بذلك، حتى إنه كان له تأثيرٌ كبيرٌ في نفوس المصلين، فالتَفَّت القلوب حوله تجمعهم المحبة في الله والأخوة الحقة.

وقد سافر إلى بلاد عدة والتقى بعلمائها ومشايخها، فاستقبله علماؤها وأهلها بالترحاب، وأجازه كثيرٌ من العلماء والمحدّثين والفقهاء والمشايخ إجازةً عامةً مطلقةً بكل ما تجوز لهم روايته، وممن أخذ عنهم وأجازه:

الشيخ المعمر ملا حسن أفندي مستك أوستوران الحنفي القادري النقشبندي القونوي.

- مفتي وشيخ العراق الفقيه المفسر المُعَمَّر عبد الكريم محمد المدرّس.
- مسند عصره المحدث الشيخ أبو الفيض محمد ياسين الفاداني الأندونوسي ثم المكي.
- محدث الهند الشيخ حبيب الرحمن بن الشيخ صابر الأعظمي الحنفي.
- المحدّث المعمَّر الفقيه عبد الرحمٰن بن أبي الإسعاد محمد عبد الحي بن شيخه أبي المكارم عبد الكبير بن شيخه أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الحسيني الحسني الإدريسي الكتّاني.
- محدث البلاد التونسية الشيخ محمد الشاذلي بن الشيخ محمد الصادق الطاهر النّيفر.
- الشيخ مفتي البلاد التونسية كمال الدين بن الشيخ محمد العزيز جعيط.
- المحدث الفقيه الحنفي محمد عاشق إلهي البرني ثم المدني المفتي في دار العلوم كراتشي.
- الشيخ الفقيه الشافعي أحمد نصيب المحاميد الحوراني تلميذ المحدث الشيخ بدر الدين الحسني.
- الشيخ الزاهد محمد علي الحريري الرفاعي الحوراني ثم الدمشقي.
- الشيخ الولي الصالح محمد سليم الرفاعي القاري.
- مفتي محافظة الرقة السورية محمد السيد أحمد.
- الشيخ المعمَّر الصالح صاحب الأحوال السنية محمد ياسين حزوري التركماني ثم الحمصي.
- الشيخ الفرضي نور الدين خزنه كاتبي الدمشقي.
- الشيخ الفقيه المعمَّر محمد زين العابدين بن الشيخ محمد عطاء الجذبه.
- مؤرخ الشام الفقيه الحنفي الشيخ محمد رياض المالح.
- مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد الرقيمي الأشعري.

– المفتي الشيخ عمر جيلاني الأشعري.

– الشيخ المسند المقرئ إدريس منديلي الشافعي.

– الشيخ المعمَّر الفقيه الشافعي أبو عمر عبد السلام القصيباتي العاتكي الدمشقي.

– الشيخ محمد رجائي ابن الشيخ كمال الدين المشهور بشهيد ميسلون الحسني الدمشقي.

– الشيخ يحيى بن سعيد الخطيب مفتي مدينة الرستن السورية.

– الشيخ الدكتور أكرم عبد الوهاب الملّا يوسف محمد سعيد الموصلي الشافعي.

– الشيخ المعمر يوسف محمود عمر العتوم الأردني.

– الولي الصالح الهائم السائح نورين تندلكي السوداني القادري خليفة قطب السودان المعمَّر عبد الباقي بن الحاج عمر بن أحمد الحسيني المكاشفي.

– المعمَّر الفقيه حامد بن علوي بن سالم بن أبي بكر الكاف الحسيني.

– الشيخ سهيل بن محمد الزبيبي الدمشقي الحنفي.

– الشيخ الحافظ عبد الله بن يوسف الهرري.

– الفقيه الأصولي المحدث عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري الطنجي.

– المتبحر في فنون الحديث محمد بن المفتي محمد سراج بن محمد سعيد الآني الجبرتي.

– الشيخ العابد الزاهد محمد أمين الودي المشتهر بشيخ كَسر شيخ نحاة الحبشة.

– المعمَّر الشيخ عبد الصمد بن سادو قلتو الأوكولشي العروسي الأورومي.

– المفتي الشيخ خطاب بن المفتي عمر الفقيري التلوي ثم الإسطنبولي التركي.

– الفقيه ملا طيب بن عبد الله بن سليمان بن محمد البحركي.

– العلّامة الفقيه الحبيب علي بن حسين بن عبد الله عيديد.

- الشيخ المشهور محمد رشاد بن عبد الله الطرطري الهرري الأورومي الشافعي.
- الوجيه الشيخ السيد حسين بن السيد عبد الرحمٰن بن السيد عبد الصمد بن السيد الفقيه جمال الدين محمد الآني الشافعي الحبشي.
- الشيخ المسند محمد عبد الرشيد النعماني الحنفي.
- الشيخ الفاضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر الملا الإحسائي.
- الشيخ المعمَّر محمد عثمان بلال مفتي مدينة حلب.
- الشيخ الشريف السَّيدًا محمد علي الجيلانباري.
- الشيخ الأستاذ المتفنن في العلوم محمد سعيد أرواس ألواني.
- الشيخ الفقيه الجبل الراسخ عبد العزيز بن الشيخ إبراهيم بن بلال.
- الشيخ الفقيه الحنفي خطيب المسجد الأموي في دمشق الشيخ نزار محمد الخطيب.
- الشيخ الحاج علي ولي حفيد ولي الله المشهور بالشيخ بشرى.
- الشيخ المسند الرابغي عبد القادر البخاري.
- الشيخ المسند عبد الحميد عبد الحليم الداري.
- السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ جمال بن الشيخ إسماعيل ابن الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي نسابة العالم الإسلامي.
- العلامة الفقيه عبد الرحمٰن كنج كويا تنكل قاضي بلال وعميد كلية السيد مدني العربية ومرشد جمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند عبد الرحمٰن البخاري.
- الشيخ المعمر محمد طاهر ءاية علجت الجزائري.
- الشيخ الفقيه اللغوي المفتي الأمين عثمان الأمين.

– الشيخ العلّامة المعمر الفقيه الحبيب حسين بن محمد بن هادي السقاف.

– الشيخ المعمر محمد بن عمر المختار شيخ المجاهدين.

– الفقيه الأصولي المحدث أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الحسني الغماري.

وقد مَنَّ الله تعالى عليه بأن تلقَّى قراءةً وسماعًا بالأسانيد المتّصلة **ما يزيد على مائة وخمسة وثلاثين ألف** حديثٍ وأثرٍ على اختلاف مراتبِها وفنونها.

وبالإجمال فإجازاته فاقت السبعمائة إجازة، ومن أراد زيادة تفصيلٍ فلينظر في ثبتيه: «**جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي**»، والثبت الكبير «**المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي**».

وفي سنة ١٩٩٥ر حج بيت الله الحرام، ثم زار قبر النبي المصطفى ﷺ واستوطن المدينة المنورة، ثم حجَّ بعد ذلك خمس عشرة حجةً واعتمر عمراتٍ كثيرة.

يرأس جمعية المشايخ الصوفية في لبنان، ويشغل مناصب مختلفة في عدد من الجمعيات منها: جمعية السادة الأشراف في لبنان، وجمعية مشيخة الصوفية في مصر، ونقابة السادة الأشراف في العراق، ونقابة الأشراف في بيت المقدس، والأمانة العامة لأنساب السادة الهاشميين، والأمانة العامة لاتحاد المؤرِّخين العرب.

وهو حائزٌ على شهادتي دكتوراه، الأولى من بيروت – لبنان تحت عنوان «السُّقوط الكبير المدوِّي للمجسِّم ابن تيمية الحرَّاني» بتقديرٍ ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل في مدينة مكناس – المغرب تحت عنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقدير مشرّف جدًّا ولله الحمد والمِنّة. وهو مجازٌ بالطرق كلِّها، وإعطائها، وتلقين الأذكار والأوراد، وإقامة حلقات الذكر، والختم، والحضرة.

كما أنه دُعي وجال وتنقل في كثير من البلاد العربية والإسلامية والأوروبية كالحجاز وسوريا والأردن والعراق ومصر وليبيا واليمن والمغرب والإمارات العربية وأندنوسيا وماليزيا والهند وباكستان وبنغلادش وجزر الموريس وأستراليا وألمانيا وفرنسا وهولندا وفنلندا والسويد والدنمارك وتركيا وقبرص وهرر وبلاد أثيوبيا للتدريس والخطابة والتوجيه والمشاركة في المهرجانات لنصرة دين الله، وتعليم الناس العقيدة السنية الصافية من كدرالتشبيه والتجسيم والتعطيل والأوهام ،ونشر المفاهيم السليمة، وتفقد أحوال المسلمين، والدعوة الإسلامية، وشارك وحاضر في عدد كبير من المؤتمرات في مختلف بقاع الأرض، وله مقالات ومقابلات تلفزيونية وإذاعية نُشرت.

أولى اهتمامه بالعلم والمطالعة، وهو بالإضافة الى القيام بالمحاضرات والخطابة في الجامعات والمساجد والمؤتمرات والمهرجانات يعكف على تأليفِ الكتب وتحقيق مصنفات العلماء في مكتبته التي وسمها بالمكتبة الأشعرية العبدرية في بيروت وقد حوت ءالاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة بشتى العلوم والفنون، وجعل مكتبته مفتوحةً لطلبة العلم والباحثين، ناهيك عما عُقد فيها من محاضراتٍ علميةٍ ومجالس إقراءٍ زكاةً للعلم. وقد ناهزت مؤلفاته وتحقيقاته الثلاثمائة مصنف بفضل من الله ومنه وكرمه. ومن أشهر كتبه المحققة تفسير الأسماء والصفات للإمام أبي منصور البغدادي وشرح كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري **وقد ألف كتبًا بالدفاع عن الإمام أبي حنيفة منها كتاب الأدلة المنيفة في نفي الكفر عن أبي حنيفة وإرشاد الأنام بشرح وصايا الإمام. وله أسانيد عالية بالاتصال بالإمام أبي حنيفة وبالمذهب الحنفي.**

هذا وقد خصَّهُ بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ وأصحاب الطرق من تركيا وسوريا ومصر واليمن وباكستان والهند وغيرها بآثارٍ من ءاثار رسول الله محمد ﷺ، فحفظها في الخزينة الحليمية التي حوت شعراتٍ من شعراتِ نبي الله الأعظم ﷺ وقطعًا من عمامته وقميصه ونعله

وغيرها من الآثار، وكل ذلك موثقٌ بالأثبات والأختام التي تثبت صحة نسبتها إلى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في شتى البلاد ببعض هذه الآثار الزكية[1].

---

(١) للتواصل مع المؤلِّف:

+٩٦١٣٢١٥٣١٦
+٩٦١٣٠٠٦٠٧٨
sh.jamil.halim@gmail.com
https:/www.facebook.com/Sheikh.Jameel

نُبْذَة تعريفِيَّة عن حياة الشيخ الدكتور رئيس الشامي

مولده وحياته العلمية:

ولد السيد الشريف محمد رئيس الشامي عام ١٩٩٠م بكراتشي باكستان، وحفظ القرآن في العاشرة من عمره في عام ٢٠٠٠م، التحق بالمعهد الديني وأظهر نبوغًا مبكرًا لفت إليه الأنظار؛ حتى إنه التحق بالجامعة النظامية بلاهور وحصل على شهادة الماجستير عام ٢٠١٣م، وما إن أتمّ الدراسة في الجامعة النظامية حتى تعلّق قلبه بالجامعة النعيمية للتخصص في الفقه الحنفي.

وقد حاز على شهادة الدكتوراه في العقيدة من الجامعة العالمية في بيروت بعد أن ناقش أطروحة تحت عنوان "**إشارات المرام من عبارات الإمام**" للشيخ كمال الدين أحمد بن الحسن بن يوسف البياضي المتوفى ١٠٩٨هـ. من أول الكتاب إلى نهاية الكلام عن صفة المشيئة، (دراسة وتحقيق) وذلك بتقدير ممتاز ولله الحمد والمنة.

الدرجة العلمية:

- عُيّن مُدرّسًا بمعهد وقار العلوم سنة ٢٠١٤م.
- عُيّن مديرًا لدار العلوم العليمية في جزيرة موريشيوس سنة ٢٠١٥م.
- عُيّن عميدًا للعلوم العربية بكلية نور حمزة الإسلامية بكراتشي سنة ٢٠٢٠م.
- عُيّن أستاذا زائرًا بجامعة كراتشي بكلية أصول الدين بكراتشي باكستان سنة ٢٠٢٠م.
- عُيّن خطيبًا بالجامع بيت المعظم سنة ٢٠٢١م.
- عُيّن رئيسًا لمعهد الأعلام الماتريدية لنشر اللغة العربية سنة ٢٠٢١م.

ومن تأليفاته:

١. إشارات المرام من عبارات الإمام (تحقيق).

٢. هداية الجنان في تنزيه الله عن الجسمية والجهة والمكان.

٣. عقيدة المسلمين.

٤. نيل السعادتين في شرح مقتضى الشهادتين للإمام عبد الغني النابلسي.

٥. خلاصة إرشاد الأنام بشرح وصايا أبي حنيفة الإمام.

٦. العقيدة المرشدة.

٧. **عقیدۂ راہِ ہدایت.**

٨. أهل السنة هم الأشاعرة والماتريدية.

٩. الثقافة الإسلامية. (الجزء الأول).

١٠. الثقافة الإسلامية. (الجزء الثاني).

١١. الثقافة الإسلامية. (الجزء الثالث).

١٢. الثقافة الإسلامية. (الجزء الرابع).

١٣. الثقافة الإسلامية. (الجزء الخامس) [١].

---

(١) للتواصل:

+٩٢٣٣٣٣١١٨٦٦٨
Syedraees٠١@gmail.com
https:/www.facebook.com/Dr-Syed Raees shami

عقيدة أهل السنة والجماعة

اعلم أنه اتفق أهل السنة والجماعة(١) على أصول من أركان الدين، كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ تعلُّمه، ولكل ركن منها شُعَب، وفي شعبها مسائل اتفق أهل السنة والجماعة فيها على قول واحد، وضلّلوا من خالفهم فيها. ومن هذه الأركان: معرفة صانع العالم وصفات ذاته، مع تنزيهه عن أوصاف المخلوقين.

فعقيدة المسلمين -سلفًا وخلفًا- بلا شكّ ولا ريب، أنّ الله سبحانه وتعالى هو خالق العالم، وهو القائم بنفسه، المستغني عن كل ما سواه، المحتاج إليه كل ما عداه، ولا أحد يستغني عن الله طرفة عين، والله لا يحتاج لشيء من خلقه، ولا ينتفع بطاعتهم، ولا ينضرُّ بمعاصيهم، ولا يحتاج ربّنا إلى محلّ يحلّه ولا إلى مكان يقلّه، وأنه ليس بجوهر ولا عَرَض وأنّ الحركة والسكون والذهاب والمجيء والكَوْن في مكان، والاجتماع والافتراق، والقرب والبعد من طريق المسافة، والاتصال والانفصال، والحجم والجرم، والجُثَّة والصورة والشكل والحيّز والمقدار والنواحي والأقطار والجوانب والجهات، كلها لا تجوز عليه تعالى، لأنّ جميعها توجب الحدّ والنهاية والمقدار، ومن كان ذا حدٍّ ونهايةٍ ومقدارٍ كان مخلوقًا، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾(٢).

---

(١) قال المحدث اللغوي الفقيه الحنفي مرتضى الزبيدي في شرحه: "إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية". الزبيدي مرتضى محمد بن محمد الحسيني (-١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، **إتحاف السادة المتقين**، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، ج٢، ص٦.

(٢) سورة الرعد، آية: ٨.

واعلم أنّ كل ما يتصور في الوهم من طول وعرض وعمق وألوان وهيئات، يجب أن يعتقد أنّ صانع العالم بخلافه، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١]. ولقول أئمة أهل السنة والجماعة كذي النون المصري[٢]: "**مَهْمَا تَصَوَّرْتَ بِبَالِكَ فَاللهُ لَا يُشْبِهُ ذَلِكَ**"[٣]. فالله لا يجوز عليه الكيفية والكمية والأينية، لأنّ من لا مثل له لا يجوز أن يقال فيه: كيف هو؟ ومن لا عدد له لا يجوز أن يقال فيه: أين كان؟ لأنّ الذي أيّن الأين لا أين له، والذي كيّف الكيف لا كيف له.

والله تعالى مقدّس عن الحاجات، منزّه عن العاهات، وعن كل وجوه النقص والآفات، متعالٍ عن أن يوصف بالجوارح والآلات، والأدوات والسكون والحركات، لا يليق به الحدود والنهايات، ولا تحويه الأرَضون ولا السماوات، ولا يجوز عليه الألوان والمماسّات، ولا يجري عليه زمان ولا أوقات، ولا يلحقه نقص ولا زيادات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدَعات المخلوقات.

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

(٢) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، المعروف بذي النون، وهو معدود في جملة من روى "الموطأ" عن الإمام مالك رضي الله عنه؛ وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين، وقيل: غير ذلك. الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (-٤٦٣هـ/١٠٧٢م)، **تاريخ بغداد**، تحقيق د. بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج٩، ص٣٧٣. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن إبراهيم البرمكي الإربلي (-٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط١، د.ت، ج١، ص٣١٥-٣١٦.

(٣) ونصّ عبارته: "وكل ما تصور في وهمك فالله بخلاف ذلك". عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (-٤٦٥هـ/١٠٧٣م)، **الرسالة القشيرية**، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، القاهرة، دار المعارف، د.ط، د.ت، ج١، ص٢٣.

هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، بل عقيدة الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم وكلّ المسلمين، فالعاقل الفطن من تمسّك بهذه العقيدة الحقة التي تُنْجيه يوم القيامة من العذاب الدائم والخلود الأبدي في نار جهنم.

فأهل السنة والجماعة هم الذين اتبعوا الرسول ﷺ والصحابة في المعتقد، ولو كان كثير منهم مقصّرين بالفروع.

سيرة الإمام

أبي حنيفة النعمان

رضي الله عنه وأرضاه

نبذة دراسية عن الإمام الأجلّ العالم العامل الحبر الورع الزاهد العابد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه.

تحتها مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه.

- أولًا: اسمه وكنيته وولادته.
- ثانيًا: صفته وأخلاقه وزهده وورعه.
- ثالثًا: طبقته.
- رابعًا: شيوخه وتلاميذه.
- خامسًا: ثناء العلماء عليه.
- سادسًا: حياته العلمية.
- سابعًا: وفاته.

المبحث الثاني: عصر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه.

- أولًا: الحالة السياسية.
- ثانيًا: الحالة الاجتماعية والاقتصادية.

المبحث الأول

التعريف بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه

أولًا: اسمه وكنيته وولادته:

هو الإمام العالم الحجَّةُ البارع الورعُ الذي أجمعَ السَّلف والخلفُ على كثرة علمه وورعه وعبادته، ودقَّة مداركه، واستنباط أدلَّته، أبو حنيفة النعمان بن ثابت.

وقد اتُّفق على أنَّ كنيته: أبو حنيفة، واسمَه: النعمان بن ثابت. ولد أبو حنيفة رضي الله عنه سنة ثمانين من الهجرة، كما قاله المِزِّيّ(١) والنووي(٢).

---

(١) أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي المزي، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، ونشأ بالمزة، له كتاب "**تهذيب الكمال**"، وتوفي سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة. ابن قاضي شهبة تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد الأسدي الدمشقي (-٨٥١هـ/١٤٤٧م)، **طبقات الشافعية**، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٨م، ج٣، ص٧٤. العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (-٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، **الدرر الكامنة**، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ج٣، ص١٤٤.

-المزي أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن القضاعي الكلبي (-٧٤٢هـ/١٣٤٢م)، **تهذيب الكمال**، تحقيق د. بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٢٩، ص٤٤٤.

(٢) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعيّ، علّامة بالفقه والحديث، من كتبه "**تهذيب الأسماء واللغات**" و"**منهاج الطالبين**" و"**المنهاج في شرح صحيح مسلم**"، مات سنة سبع وسبعين وستمائة. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج٢، ص١٥٣. ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العَكري الحنبلي (-١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق محمود الأرناؤوط، بيروت، دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج١، ص٥٥.=

وقال ابن خلّكان:[1] وهو الأصحُّ، وقال الموفق المكي[2]: وهي الصحيح المجمع عليها.

=-النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (-٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، **تهذيب الأسماء واللغات**، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ج٢، ص٢١٦.

(١) قاضي القضاة شمس الدين أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن إبراهيم البرمكيّ الإربليّ الشافعيّ، ولد بإربل سنة ثمان وستمائة، وتوفّي سنة إحدى وثمانين وستمائة. صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد (-٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، **فوات الوفيات**، بيروت، دار صادر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج١، ص١١٠. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر (-٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، **البداية والنهاية**، تحقيق علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١٣، ص٣٥٢.

- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي الإربلي (-٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط١، د.ت، ج٥، ص٤١٤.

(٢) أحمد بن محمد موفق الدين القرشي، ولد في حدود سنة أربع وثمانين وأربعمائة، ومن كتبه "**مناقب أبي حنيفة**"، مات سنة ثمان وستين وخمسمائة. ابن القرشي أبو محمد محيي الدين الحنفي عبد القادر بن محمد (-٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، كراتشي، مير محمد كتب خانه، د.ط، د.ت، ج٢، ص١٨٨. اللكنوي أبو الحسنات محمد عبد الحي الهندي، (١٣٠٤هـ/١٨٨٧م)، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، تحقيق، محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، مصر، دار السعادة، ط١، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، ص٤١.

-ابن المكي أحمد بن محمد موفق الدين القرشي (-٥٦٨هـ/١١٧٢م)، **مناقب أبي حنيفة**، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٠.

ثانيًا: صفته وأخلاقه وزهده وورعه.

وأمّا عن أخلاقه رضي الله عنه فكُتُبُ مناقبه رضي الله عنه مليئةٌ بذكرها، إذ ذُكرت فيها فصولٌ في هيئته، وصفته، وحسن زيِّه، ووقاره وورعه، وزهده، وأمانته، وحسن جواره، وتهجّده بالليل، وقيامه، وقراءته، وتضرعه، وسماحته، وسخائه، وبذله، وبرِّه لوالديه، وغيرها؛ وسأكتفي بذكر بعض خُلقه رضي الله عنه.

رُوي أنّ الخليفة الرشيد[١] قال لأبي يوسف[٢] وهو أكثر الناس ملازمةً للإمام رضي الله عنه: صِفْ لي أخلاقَ أبي حنيفة رضي الله عنه، فقال: كان —واللهِ– شديدَ الذبِّ عن حرمات الله، مجانبًا لأهل الدنيا، طويل الصمتِ، دائم الفكر، لم يكن مهذارًا ولا ثرثارًا، إن سئل عن مسألة

---

(١) أبو جعفر هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم، ولد بالري سنة خمسين ومائة، وتوفِّي سنة ثلاث وتسعين ومائة. الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (-٤٦٣هـ/١٠٧٢م)، **تاريخ بغداد**، تحقيق د. بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١٤، ص٦. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٤٣١.

(٢) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، ولد بالكوفة سنة ثلاث عشرة ومائة، ومن كتبه "**الخراج**" و"**الآثار**" وهو مسند أبي حنيفة، و"**النوادر**"، وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة. ابن القرشي، الجواهر المضية، ج٢، ص٢٢٠. ابن قُطلُوبغا أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم الحنفي (-٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، **تاج التراجم**، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٣١٥. اللكنوي، **الفوائد البهية**، ص٢٢٥.

كان عنده بها علمٌ أجاب فيها، وما علمته يا أمير المؤمنين إلا صائنًا لنفسه ودينه مشتغلًا بنفسه عن الناس، لا يذكر أحدًا إلّا بخير، فقال الرشيد: هذه أخلاق الصالحين(١).

ثالثًا: طبقته: قال السيوطي:(٢) "اختلف في طبقة أبي حنيفة رضي الله عنه، والصحيح أنه رضي الله عنه من التابعين(٣) وعلى ذلك جمٌّ غفيرٌ من العلماء والحفّاظ والمؤرّخين.

---

(١) الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (-٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **مناقب أبي حنيفة وصاحبيه**، تحقيق محمد زاهد الكوثري وأبو الوفاء الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص١٧.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، فقيه شافعيٌّ إمام حافظ، مؤرخ، أديب، ومن كتبه "**الإتقان في علوم القرآن**" و"**لقط المرجان في أخبار الجان**" و"**الأشباه والنظائر**"، توفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١٠، ص٧٤. الكتاني أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض (-١٣٤٥هـ/١٩٢٧م)، **الرسالة المستطرفة**، تحقيق محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط٦، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٨٤.

-السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-٩١١هـ/١٥٠٥م)، **تبييض الصحيفة**، تحقيق محمود محمد محمود حسن نصار، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ص٣٣.

(٣) التابعي هو من لقي الصحابيَّ بطريق العادة، ومات على الإيمان. وليس شرطًا للتابعي أن يروي عن الصحابي، فقد يلتقي الشخص بالصحابي ويروي عن تابعيّ. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (-٨٥٢هـ١٤٤٩م)، **نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، تحقيق د. كمال يوسف الحوت، بيروت، دار المشاريع، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص٩٤.

منهم: ابن حجر العسقلاني[1]....

(١) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ولد في الثاني عشر من شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، من كتبه "**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**" و"**لسان الميزان**" و"**تقريب التهذيب**"، توفي بمصر سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة. السخاوي أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر (-٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ط، د.ت، ج٢، ص٣٦. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن البخاري القِنَّوجي (-١٣٠٧هـ/١٨٩٠م)، **التاج المكلل**، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج١، ص٣٥٤. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١، ص٧٤.

ومنهم: ابن الجوزي(١) والنووي(٢) والخطيب(٣) والولي العراقي(٤).

---

(١) ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، كانت ولادته بطريق التقريب سنة ثمان وقيل عشر وخمسمائة، ومن كتبه "**المغني**" و"**زاد المسير**" و"**دفع شبه التشبيه**"، وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص١٤١-١٤٢. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١، ص٤٧.

-قال الدارقطني: وأبو حنيفة لم يسمع من أحد من الصحابة إنّما رأى أنس بن مالك بعينه. ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (-٥٩٧هـ/١٢٠١م)، **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، تحقيق إرشاد الحق الأثري، فيصل آباد، إدارة العلوم الأثرية، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج١، ص١٢٨.

(٢) النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ج٢، ص٢١٦.

(٣) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب البغدادي، وُلد في غُزَيَّة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، من كتبِه "**تاريخ بغداد**" و"**الكفاية في علم الرواية**" و"**الفقيه والمتفقه**"، توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج١، ص٩٢. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١، ص٣٨-٣٩.

-الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٤، ص٢٠٨.

(٤) أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين ابن العراقي قاضي الديار المصرية، ولد سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة بالقاهرة، من كتبه "**البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مس بضرب من التجريح**" و"**فضل الخيل**"، وتوفي سنة ست وعشرين وثمانمائة. السخاوي، **الضوء اللامع**، ج١، ص٣٣٦-٣٣٧. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٩، ص٢٥١.

-السيوطي، **تبييض الصحيفة**، ص٣٤.

وأبو معشر[١] وحمزة السهمي[٢] واليافعي[٣]"، ومن أنكر ذلك فهو محجوجٌ عليه بأقوالهم.

---

(١) أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد الطبري القطان، ورد بغداد، وتوفّي بعد سنة سبعين وأربع مائة بمكة رحمه الله. ابن الصلاح أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (-٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، **طبقات الفقهاء الشافعية**، تحقيق محيي الدين علي نجيب، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٢، ص٥٦٠. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٥، ص٣٣٨.

- السيوطي، **تبييض الصحيفة**، ص٣٥.

(٢) أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني، مؤرّخ من الحفّاظ، ولد سنة نيّف وأربعين وثلاثمائة، من كتبه "**تاريخ جرجان**" و"**معجم شيوخه**"، توفي سنة ثمان وعشرين وأربع مائة، وقيل غير ذلك. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-٩١١هـ/١٥٠٥م)، **طبقات الحفاظ**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ج١، ص٤٢٢.

- السيوطي، **تبييض الصحيفة**، ص٣٤.

(٣) عبد الله بن أسعد بن علي عفيف الدين، ولد قبل سبع مائة بسنتين أو ثلاث، من كتبه "**مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان**" و"**نشر المحاسن الغالية**"، و"**روض الرياحين في مناقب الصالحين**"، وتوفي سنة ثمان وستين وسبعمائة. -العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج٣، ص١٨. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج١، ص٦٥. اللكنوي، **الفوائد البهية**، ص٣٣.

-اليافعي أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي (-٧٦٨هـ/١٣٦٧م)، **مرءاة الجنان**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٢٤٢.

رابعًا: شيوخه وتلاميذه.

إنَّ اعتناء الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه بطلب العلم وتتبّع أدلته من حديث رسول الله ﷺ ومسائله الدقيقة المتداولة بين الفقهاء أوصله إلى التردّد إلى كثيرٍ من العلماء الأعلام للاستفادة، فبلغ شيوخه أربعة ءالاف شيخٍ، فيهم سبعةٌ من الصحابة، وثلاثةٌ وتسعون من التابعين، والباقي من أتباعهم(١).

ولا غرابة في هذا ولا عجب، فقد عاش رحمه الله تعالى سبعين سنةً، وحجَّ خمسًا وخمسين مرةً، وموسم الحجِّ يجمع العلماء في الحرمين الشريفين، وأقام بمكة رحمه الله تعالى مدّةً.

وكانت الكوفة مركز علمٍ وحديثٍ، تعجُّ بكبار العلماء، فإذا كان الإمام حريصًا، وقد كان كذلك على اللُقِيِّ والاستفادة من العلم وأهله، تيسَّر له في خمسٍ وخمسين سنةً أن يلتقي بأربعة ءالافِ شيخٍ، وأن يأخذ عنهم ما بين مُكْثِرٍ ومُقِلٍّ ولو حديثًا أو مسألة.

قال أبو حفصٍ الكبير(٢): عدُّوا مشايخ أبي حنيفة من العلماء والتابعين، فبلغوا أربعة ءالاف(٣).

أمّا في الكلام على تلاميذه رضي الله عنه، فقد أكرمه الله تعالى بتلامذة عظام، كانوا في العلوم جبالًا، يقرِّر معهم المسائل، ويقعِّد القواعد، ويتجنَّب بهم الخطأ لو أوشك أن يقع فيه.

---

(١) وهبي سليمان غاوجي، **أبو حنيفة النعمان**، دمشق، دار القلم، ط٥، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٥٧.

(٢) أحمد بن حفص أبو حفص البخاري الحنفي، شيخ ما وراء النهر، ولد سنة خمسين ومائة، وأخذ الفقه عن محمد ابن الحسن وعن شمس الأئمة، وسمع من هشيم بن بشير، وجرير بن عبد الحميد، ومات ببخارى سنة سبع عشرة ومائتين. ابن قُطلُوبغا، **تاج التراجم**، ص٩٤. اللكنوي، **الفوائد البهية**، ص١٨.

(٣) ابن المكي، **مناقب أبي حنيفة**، ص٣٧.

فقد ذكر الخطيب في تاريخه[1] ما نصّه "كنَّا عند وكيع بن الجرَّاح[2] شيخ الإمام الشافعي وأحد شيوخ البخاري بالواسطة رحمهم الله تعالى، فقال رجل: أخطأ أبو حنيفة، فقال وكيع: وكيف يقدر أبو حنيفة أن يخطئ ومعه مثل أبي يوسف ومحمد بن الحسن[3] وزفر[4] في قياسهم واجتهادهم، ومثل يحيى بن زكريَّا ابن أبي زائدة[5]، وحفص بن غياث[6] في حفظهم للحديث

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٦، ص٣٥٩.

(٢) وكيع بن الجراح بن مليح الرُّؤَاسِي أبو سفيان الكوفي، ولد سنة تسع وعشرين ومائة، روى عن أبيه وبقية وحماد بن سلمة، وروى عنه فليح وسفيان وأحمد بن حنبل، مات سنة ست وتسعين ومائة. النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ج٢، ص١٤٣. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص١٣٣. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٤٥٩.

(٣) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، أصله من قرية تسمى حرستى من أعمال دمشق، ومن كتبه "**الجامع الكبير**" و"**الجامع الصغير**" و"**السير الكبير**" و"**السير الصغير**"، مات سنة تسع وثمانين ومائة. ابن القرشي، **الجواهر المضية**، ج٢، ص٤٢. ابن قُطلُوبغا، **تاج التراجم**، ص٢٣٧. العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (-٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، **لسان الميزان**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج٥، ص١٢١.

(٤) زفر بن الهذيل بن قيس العنبريّ، ولد سنة عشر ومائة، وحدّث عن الأعمش وأبي حنيفة ومحمّد بن إسحاق وطبقتهم، وحدّث عنه الكثيرون، وتوفي بالبصرة سنة ثمان وخمسين ومائة. ابن القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص٢٤٣. ابن قُطلُوبغا، **تاج التراجم**، ص١٦٩. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٢٦١.

(٥) يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة بن ميمون، سمع أباه وهشامًا والأعمش وأمثالهم، وروى عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما، ولاه الرشيد قضاء المدينة، توفي رحمه الله سنة اثنتين وثمانين ومائة. ابن القرشي، **الجواهر المضية**، ج٢، ص٥٤١. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٣٦٦.

(٦) أبو عمر حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي الكوفي، ولد سنة سبع عشر ومائة، ومات سنة سبع وسبعين ومائة. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص١٣٠. اللكنوي، **الفوائد البهية**، ص٦٨.

ومعرفتهم، ومثل القاسم بن معن[1] في معرفته بالنحو واللغة، وداود الطائي[2] والفضيل بن عياض[3] في زهدهما وورعهما، وعبد الله بن المبارك[4] في معرفته بالتفسير والأحاديث والتواريخ، فمن كان أصحابه وجلساؤه هؤلاء كيف يخطئ وهو بينهم؟! وكلٌّ منهم يثني عليه؛ لأنَّه إن أخطأ ردُّوه إلى الصواب.

---

(١) أبو عبد الله القاسم بن معن بن عبد الرحمن الهذلي، ولي القضاء بالكوفة بعد شريك بن عبد الله، وكان أروى الناس للحديث والشعر وأعلمهم بالعربية والفقه، مات رحمه الله سنة خمس وسبعين ومائة. ابن القرشي، **الجواهر المضية**، ج١، ص٤١٢. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٣٤٢.

(٢) أبو سليمان داود بن نصير الطائي، سمع عبد الملك بن عمير وحبيب بن أبي عمرة وسليمان الأعمش، وروى عنه إسماعيل بن عيينة ومصعب بن المقدام وأبو نعيم الفضل بن دكين وغيرهم، توفي سنة ستين وقيل سنة خمس وستين ومائة. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٢، ص٢٥٩. ابن القرشي، **الجواهر المضية**، ج١، ص٢٣٩. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٢٨٤.

(٣) أبو علي الإمام الرباني الفضيل بن عياض بن مسعود، أخذ الفقه عن أبي حنيفة، وروى عنه الإمام الشافعي، وروى له إماما عظيمان البخاري ومسلم، مات سنة سبع وثمانين ومائة. ابن القرشي، **الجواهر المضية**، ج١، ص٤٠٩. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٣٩٩.

(٤) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، ولد سنة ثمان عشرة ومائة، سمع السفيانين، وروى عنه محمد بن الحسن وابن مهدي، توفي سنة إحدى وثمانين ومائة. ابن القرشي، **الجواهر المضية**، ج١، ص٢٨١. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص١٣٠. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٣٦١.

وذكر عبد القادر القرشيُّ[1] في كتابه "الجواهر المضيَّة"[2] في ترجمة يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة:

---

(١) عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، ولد سنة ست وسبعين وستمائة، وصنّف "**العناية في تحرير أحاديث الهداية**" و"**شرح معاني الآثار للطحاوي**" و"**الجواهر المضية**"، مات سنة خمس وسبعين وسبعمائة. العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج٣، ص١٩١. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٨، ص٤٠٩. اللكنوي، **الفوائد البهية**، ٩٩.

(٢) ابن القرشي، **الجواهر المضية**، ج١، ص١٤٠.

قال الطحاوي:[١] كان أصحاب أبي حنيفة الذين دوَّنوا الكتب أربعين رجلًا، وكان في العشرة المتقدِّمين: أبو يوسف وزفر وداود الطَّائي أسد بن عمرو[٢] ويوسف بن خالد السَّمتيّ[٣] ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وكان هو الذي يكتبها لهم ثلاث سنين.

---

(١) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي، ولد سنة سبع وثلاثين ومائتين، صنّف "**العقيدة الطحاوية**" و"**اختلاف العلماء**" و"**معاني الآثار**"، وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. ابن القرشي، **الجواهر المضية**، ج١، ص١٠٢. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٣٣٩. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٤، ص١٠٥.

(٢) أسد بن عمرو أبو المنذر البجليّ الكوفي كان أصحاب أبي حنيفة الذين دوّنوا الكتب أربعين رجلًا، وكان في العشرة المتقدمين، مات أسد بن عمرو سنة ثمان وثمانين ومائة، وقيل غير ذلك. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (-٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، د.ط، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٩، ص٦. ابن القرشي، **الجواهر المضية**، ج١، ص١٤٠. اللكنوي، **الفوائد البهية**، ص٤٥.

(٣) هو يوسف بن خالد السَّمتي الإمام ابن الإمام، تفقّه على أبِيه مولى بني ليث يكنّى أبا خالد، توفي سنة تسع وثمانين ومائة. خليفة بن خياط أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني البصري (-٢٤٠هـ/٨٥٤م)، **الطبقات**، تحقيق د. سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١، ص٣٨٨. ابن القرشي، **الجواهر المضية**، ج٢، ص٢٢٧. اللكنوي، **الفوائد البهية**، ص٢٢٧.

وقال الموفَّق المكي[1]: كان لأبي حنيفة رحمه الله تعالى تلامذة كثيرون، منهم من كان يرحل إليه، ويستمع أمدًا، ثم يعود إلى بلده بعد أن يأخذ طريقه ومنهاجه، ومنهم من لازمه، وقد قال أي الإمام رحمه الله: هؤلاء ستة وثلاثون رجلًا، منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء، وستَّةٌ يصلحون للفتوى، واثنان -أبو يوسف وزفر- يصلحان لتأديب القضاة وأرباب الفتوى.

(١) ابن المكي، **مناقب أبي حنيفة**، ص٥٠٨.

خامسًا: ثناء العلماء عليه.

وأما ثناء الناس عليه وشهادتهم له باجتهاده في العبادة وتقواه، وورعه، ومبلغه في الطاعة، وغيرها من المناقب وأوصاف النباهة، فقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه[١]، والنووي[٢]، والسيوطي[٣]، واليافعي[٤]، والمِزِّيّ[٥] وغيرهم من ذلك جملة وافرةً، ولو جمعت في مجموع لكان مجلدًا كبيرًا، ولنكتفِ بذكر بعضه، لأنَّ ما لا يدرك كله لا يترك كله.

---

(١) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٠، ص١٥٢-١٦٥.

(٢) النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ج٢، ص٢١٦- ٢٢٣.

(٣) السيوطي، **تبييض الصحيفة**، ص٣٠٥-٣٣٤.

(٤) اليافعي، **مرءاة الجنان**، ج١، ص٣٠٩- ٣١٣.

(٥) المزي، **تهذيب الكمال**، ج٢٩، ص٤٢٢-٤٤٥.

ومن الذين أثنوا عليه:

- **شعبة بن الحجاج**[1]، كان حسن الرأي فيه. وقيل له: مات أبو حنيفة، فقال: لقد ذهب معه فقه الكوفة، تفضَّل الله علينا وعليه برحمته[2].

- **يحيى بن سعيد القطَّان**[3]، قال: ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله، وقال: وكان يحيى بن سعيد يذهب في الفتوى مذهب الكوفيين[4].

- **مالك**، سئل: هل رأيتَ أبا حنيفة؟ فقال: نعم، رأيتُ رجلًا لو كلَّمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجَّته[5].

---

(١) أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد الأزديّ العتكيّ الواسطيّ، ولد سنة ثمانين، رأى الحسن ومحمد بن سيرين، وسمع قتادة ويونس بن عبيد، روى عنه أيوب السختياني والأعمش ومحمد بن إسحاق، قال يحيى بن معين: كان شعبة رجل صدق وكان رحيمًا، وتوفي سنة ستين ومائة. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٩، ص٢٥٥. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٢٦٩. الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، ص١١٣.

(٢) الذهبي، **مناقب أبي حنيفة وصاحبيه**، ص٢٩.

(٣) أبو سعيد هو يحيى بن سعيد بن فَرُّوخ التميميّ، ولد في أوّل سنة عشرين ومائة، سمع أبا جعفر الخطمي وهشام ابن عروة وعبيد الله العمري، توفي سنة ثمان وتسعين ومائة. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٤، ص١٤٠. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٤٦٨.

(٤) الذهبي، **مناقب أبي حنيفة**، ص٣٢.

(٥) الذهبي، **مناقب أبي حنيفة**، ص٣١.

- **الشافعي**، قال: من أراد أن يتبحَّر في الفقه فهو عيالٌ على أبي حنيفة، ومن أراد أن يتبحَّر في المغازي فهو عيالٌ على محمد بن إسحاق[١]، ومن أراد أن يتبحَّر في النحو فهو عيالٌ على الكسائي[٢]، وقال: الناسُ عيالٌ في الفقه على أبي حنيفة، وقال: من أراد أن يعرف الفقه فليلزم أبا حنيفة وأصحابه، وقال: كان أبو حنيفة وقوله في الفقه مسلَّمًا فيه. ومن أَبْيَن البيان وأصرح الصريح وأدلّ الدليل على تعظيم الشافعي لأبي حنيفة واحترامه واعتقاده فيه أنّه من أهل الله ومن أهل المقامات العالية عند الله، وممَّن يُتبرَّك بهم ما رواه الخطيب البغدادي عن الشافعي رضي الله عنه، فقال ما نصّه:[٣] يقول: إني لأتبرّك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائرًا، فإذا عرضت لي حاجةٌ صليت ركعتين، وجئت إلى قبره، وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تُقضى[٤].

---

(١) محمّد بن إسحاق بن خزيمة بن صالح بن بكر السُّلَميّ النيسابوريّ الشافعيّ. ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وَسمع إِسْحَاق وَمُحَمّد بن حميد ولم يحدث عنهما لصغره، توفّي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٣١٣. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٣، ص١١٢.

(٢) أبو الحسن عليّ بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي الكسائيّ، إمام في اللغة والنحو والقراءة، روى الكسائي عن أبي بكر ابن عياش وحمزة الزيات وابن عيينة وغيرهم، وروى عنه الفراء وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما، صنف "**معاني القرآن**" و"**الآثار في القراءات**"، وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة بالري. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١١، ص٤٠٢. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (-٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، **إنباه الرواة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٢م، ج٢، ص٢٥٦. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٢٩٥.

(٣) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١، ص١٣٥.

(٤) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١، ص٤٤٥.

- **يزيد بن هارون**[١]، سئل: أيُّهما أفقه أبو حنيفة أو سفيان؟ قال: سفيان أحفظ للحديث وأبو حنيفة أفقه، وقال: أدركتُ الناسَ فما رأيتُ أحدًا أعقلَ ولا أورع من أبي حنيفة[٢].

- **أبو عاصم النبيل**[٣]، قال: كان أبو حنيفة يسمَّى الوَتِد لكثرة صلاته[٤].

- **مكي بن إبراهيم**[٥]، قال: كان أعلم أهل الأرض في زمانه، وقال: جالستُ الكوفيين، فما رأيتُ أورع من أبي حنيفة[٦].

---

(١) أبو خالد يزِيد بن هارون بن زاذان الواسطي السّلميّ، أحد الأئمة، روى عن شعبة والثوري ومالك والحمادين وابن إسحاق، وروى عنه أحمد ويحيى وإسحاق وابن المديني، قال أحمد: كان حافظًا متقنًا صحيح الحديث، مات في أول سنة ستّ ومائتين. النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ج٢، ص١٦٣. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص١٣٨.

(٢) الذهبي، **مناقب أبي حنيفة**، ص٤٢.

(٣) أبو عاصم الضحّاك بن مَخْلَد بن الضحّاك بن مسلم بن الضحّاك الشيبانيّ، ولد سنة اثنتين وعشرين ومائة، وسمع عبد الله بن عون ويزيد بن أبى عبيد ومحمد بن عجلان، روى عنه جرير بن حازم وأحمد ابن حنبل وأبو خيثمة، توفّي سنة اثنتى عشرة ومائتين. النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ج٢، ص٢٥٠. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٦، ص٢٠٧. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٣، ص٥٨.

(٤) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٥، ص٤٧٣.

(٥) مكي بن إبراهيم بن بشير بن فرقد التميمي، ولد سنة ست وعشرين ومائة، حدّث عن يزيد بن أبي عبيد وبهز ابن حكيم وابن جريج، وحدّث عنه البخاري وأحمد بن حنبل وعبيد الله القواريري، مات سنة أربع عشرة ومائتين. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٣، ص١١٦. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص١٦٤. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٣، ص٧٢.

(٦) البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٥، ص٤٨٧.

- **سفيان بن عيينة**[١]، قال: ما مقلت عيني مثل أبي حنيفة[٢].
- **علي بن عاصم**[٣]، قال: لو وزن عقلُ أبي حنيفة بعقلِ أهل الأرض لرجح بهم[٤].
- **سعيد بن أبي عروبة**[٥]، قال: كان أبو حنيفة عالم العراق[٦].

---

(١) أبو محمّد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلاليّ الكوفيّ، مولده بالكوفة سنة سبع ومائة، سمع زياد بن علاقة، والزّهري، والكبار. لقي الكبار وحمل عنهم علما جمًّا، وأتقن وجوّد، وجمع وصنّف، وازدحم الخلق عليه، توفّي سنة ثمان وتسعين ومائة. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٤٦٦. الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، ص٤١.

(٢) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٥، ص٤٥٩.

(٣) أبو الحسن علي بن عاصم بن صهيب الواسطي، مسند العراق في عصره من حفّاظ الحديث، ولد علي بن عاصم سنة ثمان ومائة، وحدّث عن حصين بن عَبْد الرَّحْمَن وبيان بن بشر ومحمد بن سوقة، روى عنه علي بن الجعد وأحمد بن حنبل والحسين بن أَبِي زيد الدباغ، ومات سنة إحدى ومائتين. البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١١، ص٤٤٤. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص١٣٧.

(٤) الذهبي، **مناقب أبي حنيفة**، ٣٧.

(٥) أبو النضر سعيد بن أبي عروبة مهران العدوي، روى عن الحسن وابن سيرين وأيوب، وروى عنه الأعمش أحد شيوخه وشعبة والثوري، مات سنة ستّ وَخمسين ومائة. النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ج١، ص٢٢١. العسقلاني، **لسان الميزان**، ج٧، ص٢٣٠. السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٨٥.

(٦) الذهبي، **مناقب أبي حنيفة**، ٣٧.

- **شداد بن حكيم**[١]، قال: ما رأيتُ أعلمَ من أبي حنيفة[٢].

- **مسعر بن كِدام**[٣]، قال: رحم الله أبا حنيفة إن كان لفقيهًا عالِمًا، وقال: أتيتُ أبا حنيفة فرأيته يصلّي الغداة، ثم يجلسُ للناس للعلم إلى أن يصلّي الظهر، ثم يجلس إلى العصر، فإذا صلَّى جلس إلى المغرب، فإذا صلَّى المغرب جلس إلى العشاء، فقلت في نفسي: هذا الرجل في هذا الشغل متى يتفرَّغ للعبادة لأتعاهدنَّه هذه الليلة، فتعاهدته فلمَّا خرج الناس انتصب للصلاة إلى أن طلع الفجر، ودخل منزله ولبس ثيابه، وخرج إلى المسجد لصلاة الفجر. وقال: دخلت المسجد ليلةً فرأيت رجلًا يصلّي فاستحليت قراءته فقرأ سبعًا، فقلتُ: يركع، ثم قرأ الثلث، ثم النصف، فلم يزل يقرأ حتى ختمه كله في ركعة، فنظرتُ فإذًا هو أبو حنيفة[٤].

---

(١) أبو عثمان البلخي شدّاد بن حكيم، كان من أصحَاب زفر، يروى عن زفر بن الهذيل روى عنه البلخيّون، مات فى آخر سنة عشر ومائتين. ابن القرشي، **الجواهر المضية**، ج١، ص٢٥٦. العسقلاني، **لسان الميزان**، ج٣، ص١٤٠. ابن قطلوبغا، **تاج التراجم**، ص١٧١.

(٢) الذهبي، **مناقب أبي حنيفة**، ص٣٧.

(٣) أبو سلمة مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الروّاسي من ثقات أهل الحديث كوفي، روى عن أبي بكر ابن عمارة وعطاء وسعيد بن أبي بردة، روى عنه سليمان التيمي وابن إسحاق، وهما أكبر منه، وشعبة والثوري، مات سنة خمس وخمسين ومائة. النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ج٢، ص٨٩. ابن القرشي، **الجواهر المضية**، ج٢، ص١٦٧. العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (-٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، **تهذيب التهذيب**، الهند، دائرة المعارف النظامية، ط١، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ج١٠، ص١١٣.

(٤) الذهبي، **مناقب أبي حنيفة**، ص٣٧.

سادسًا: حياته العلمية:

لم يعرف تاريخ الفقه الإسلامي رجلًا كثر مادحوه كأبي حنيفة رضي الله عنه، فقد ألفت الكتب في مدحه، فإنّه كان فقيهًا مستقلًّا قد سلك في آرائه مسلكًا استقلّ به وتعمّق فيه وأغور، كان رحمه الله مُرهَفَ النظر حيث اشتغل بالجدل مدّةً طويلةً قبل إقباله على الفقه، حتى أسّس بعد تفقّهه مجمعًا فقهيًّا كيانه من أربعين عالِمًا من عظماء أصحابه المسرودة أسماؤهم يرأسهم هو في تحقيق المسائل وتبيين الدلائل، ولا يخفى ما في هذه الطريقة من استثمار المواهب وتنمية الملكات حتى كثرت عندهم المسائل التقديرية في الفقه، وسهُل عليهم الردّ على أهل الأهواء فملؤوا بقاع الأرض علمًا بتلك الطريقة المثمرة المنجية في الآخرة الباعثة لكل سعادة وكل خير في الدارين، فهي العقيدة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه المهتدين رضوان الله عليهم.

ولذا كان أئمة الهدى رضي الله عنهم يسعون جهدهم في المحافظة على مسائلها وعلى صفائها الأصلي، ومن أقدم من خدم الدين خدمات جليلة في هذا الميدان الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه. وقد ناظر فرقة الخوارج والروافض والقدرية، وكانت دعاتهم بالبصرة فسافر إليها نيفًا وعشرين مرةً، وفضّهم بالأدلة الباهرة، وبلغ في الكلام -أي علم التوحيد- إلى أنه كان المشار إليه بين الأنام، واقتدى به تلامذته الأعلام.

كما روي عن أبي حنيفة أنّه قال كنت أعطيت جدلًا في الكلام، فجرى دهر فيه أتردّد، وبه أخاصم، وعنه أناضل، وكان أصحاب الخصومات والجدل أكثرها بالبصرة، فدخلتُ البصرة نيّفًا

وعشرين مرة، منها ما أقيم سنة وأقلّ وأكثر، وكنت قد نازعت طبقات الخوارج من الأباضية والصفرية وغيرهم، وطبقات الحشوية، ثم ذكر كيف أقبل على الفقه[١].

وفي مناقب الكردري[٢] أنه كان أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر وحماد ابن أبي حنيفة قد خَصَموا بالكلام الناس؛ أي ألزموا المخالفين وهم أئمة العلم.

روي عن أبي حنيفة أنه قال: كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغًا يشار إلي فيه بالأصابع[٣].

---

(١) البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي (-٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، **أصول الدين**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج١، ص٣٠٨. الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، ج٢، ص١٤.

(٢) الكردري محمد بن محمد (-٨٢٧هـ/١٤٢٤م)، **مناقب أبي حنيفة**، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٣٨. الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، ج٢، ص١٤.

(٣) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٥، ص٤٤٤.

سابعًا: وفاته:

ذكر الموفَّق في كتابه أنه قال: الحسن بن عمارة[١] غسل أبا حنيفة رضي الله عنه، ولما فرغ من غسله مدح أبا حنيفة وذكر بعض خصاله، وتكلَّم بكلماتٍ أبكى الجميعَ، فلمَّا رفعت جنازته لم أرَ باكيًا أكثر من يومئذٍ[٢].

وكانت الكلمات التي تكلَّم بها الحسن ـ كما روى الخطيب البغدادي في مناقبه: رحمك الله وغفر لك، لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسَّد يمينك بالليل منذ أربعين سنة[٣].

وكان رحمه الله تعالى قد أوصى أن يُدفنَ بأرض الخيزران فحمل إليها، وحضر جنازته جمٌّ غفيرٌ، قُدِّر بخمسين ألف رجلٍ، وصُلِّيَ عليه ستَّ مرَّاتٍ، ءاخرها صلاة ولده حمَّاد.

وجاء المنصور فصلَّى على قبره، ومكث الناس يصلُّون على قبره أكثر من عشرين يومًا. ولما بلغ المنصور أن أبا حنيفة أوصى بأن يدفن هناك حيث دفن قال: من يعذرني منك حيًّا وميتا[٤].

وكانت وفاته سنة خمسين ومائة[٥] في رجبٍ وهو ساجدٌ، فدُفِنَ في الخيزران[٦].

---

(١) الحسن بن عمارة بن المضرب أبو محمد الكوفي، ولي القضاء ببغداد في خلافة المنصور، حدث عن الزهري والحكم ابن عتيبة وعدي بن ثابت، روى عنه أبو يوسف القاضي ويونس بن بكير وشبابة ابن سوار، توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٨، ص٣٢٢. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٢٤٣.

(٢) ابن المكي، **مناقب أبي حنيفة**، ص٤٣٣-٤٣٤.

(٣) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٥، ص٤٧٣.

(٤) الصيمري، **أخبار أبي حنيفة وأصحابه**، ص٩٣.

(٥) الذهبي، **مناقب أبي حنيفة**، ص٤٨.

(٦) الصيمري، **أخبار أبي حنيفة وأصحابه**، ص٩٣.

المبحث الثاني

عصر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه.

أولًا: الحالة السياسية:

ولد الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه سنة ثمانين من الهجرة بالكوفة، في خلافة عبد الملك بن مروان وعاش اثنتين وخمسين سنة من حياته في العصر الأموي، وثماني عشرة سنة في العصر العباسي، فهو قد أدرك دولتين من دول الإسلام، أدرك الدولة الأموية في قوتها وعنفوانها، ثم في تحدرها وانهيارها.

وأدرك الدولة العباسية، وهي دعاية سرية تجوس خلال الديار الفارسية، ثم أدركها بعد ذلك، وهي حركة تغالب الأمويين، وتنزع الملك من أيديهم، وتفرضه على الناس سلطانًا تحسبه دينيًّا، لأنّ خلفاءها من أقرب أقارب رسول الله ﷺ في أصولهم، ثم تحمل الناس عليه بالرغب والرهب.

فظهرت الفتن لما كان ابن هبيرة[1] واليًا بالكوفة في عصر بني أميّة، فطلب فقهاء العراق ببابه، كان فيهم ابن أبي ليلى[2] وابن شبرمة[3] وداود بن أبي هند[4]، فولى كل واحد منهم صدرًا من عمله، وأرسل إلى أبي حنيفة، فأراد أن يجعل الخاتم في يده، ولا ينفذ كتاب إلّا من تحت يد أبي حنيفة، فأبى أبو حنيفة، فحلف ابن هبيرة إن لم يقبل أن يضربه، فقال له الفقهاء إنّا ننشدك الله أن تهلك نفسك فإنا إخوانك، وكلنا كاره لهذا الأمر، ولم نجد بدًا من ذلك، فقال أبو حنيفة: لو أرادني أن أعدّ له أبواب مسجد واسط لم أدخل في ذلك، فكيف وهو يريد مني أن يكتب دم رجل يضرب عنقه، وأختم أنا على ذلك، فوالله لا أدخل في ذلك أبدًا، فقال ابن أبي ليلى: دعوا صاحبكم، فهو المصيب وغيره المخطئ، فحبسه صاحب الشرطة، وضربه أيّامًا متتالية، فجاء

---

(١) أبو خالد يزيد بن أبي المثنى عمر بن هبيرة، ولد سنة سبع وثمانين، أصله من الشام، وكان مع مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية يوم غلب على دمشق وجمع له ولاية العراق، توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٦، ص٣١٣-٣٢١. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص١٤٨.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار، ولد سنة أربع وسبعين للهجرة، وهو كان من أصحاب الرأي، وتولى القضاء بالكوفة وأقام حاكمًا ثلاثًا وثلاثين سنة، ولي لبني أمية ثم لبني العباس، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة بالكوفة وهو باق على القضاء. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٤، ص١٧٩-١٨٠. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٢٢٢.

(٣) أبو شبرمة عبد الله بن شبرمة الضّبيّ القاضي، روى عن أنس والتابعين، قال أحمد العجليّ: كان عفيفًا، صارمًا، عاقلًا، يشبه النّساك، شاعرًا، جوادًا، توفي سنة أربع وأربعين ومائة. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج١٧، ص١٠٩. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٢، ص٢٠٥.

(٤) قال عبد الله بن أحمد حنبل: "قال أبي: داود بن أبي هند ثقة ثقة". العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج٤، ص١٩.

الضارب إلى ابن هبيرة، وقال له إنّ الرجل ميّت، فقال ابن هبيرة قل له تخرجنا من يميننا، فسأله، فقال لو سألني أن أعدّ له أبواب المسجد ما فعلت، ثم اجتمع الضارب مع ابن هبيرة، فقال ألا ناصح لهذا المحبوس أن يستأجلني فأؤجّله، فأخبر أبو حنيفة بذلك، فقال دعوني أستشر إخواني، وأنظر في ذلك، فأمر ابن هبيرة بتخلية سبيله، فركب دوابه، وهرب إلى مكة، وكان هذا في سنة مائة وثلاثين، فأقام بمكة حتى صارت الخلافة للعباسيين، فقدم أبو حنيفة الكوفة في زمن أبي جعفر المنصور(١).

روى الخطيب البغدادي عن أبي يوسف، قال: دعا المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع(٢) حاجب المنصور، وكان يعادي أبا حنيفة: يا أمير المؤمنين، هذا أبو حنيفة يخالف جدك، وكان عبد الله بن عباس، يقول: إذا حلف على اليمين ثم استثني بعد ذلك بيوم أو يومين جاز

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس أبو جعفر المنصور، ثاني خلفاء بني العباس، وُلد في الحميمة سنة خمس وتسعين للهجرة، وولي الخلافة بعد وفاة أخيه سنة ست وثلاثين ومائة، ومن آثاره مدينة "المصيصة" و"الرافقة" بالرقة، وفي أيّامه شرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس، توفّي ببئر ميمون من أرض مكّة مُحرِمًا بالحجّ ودُفن في الحجون بمكة، ومدّة خلافته ٢٢ عامًا. ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (-٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٥، ص٥٢. صلاح الدين، **فوات الوفيات**، ج٢، ص٢١٦.

- ابن المكي، **مناقب أبي حنيفة**، ص٢٣-٢٤.

(٢) الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة كيسان، من موالي بني العباس، اتخذه المنصور العباسيّ حاجبًا ثم استوزره، وكان مهيبًا محسنًا إدارة الشؤون، واستولى على الحجاز والعراق، توفي في أول سنة سبعين ومائة وقيل غير ذلك. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٢، ص٢٩٤. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٤، ص٥٨.

الاستثناء، وقال: أبو حنيفة لا يجوز الاستثناء إلا متصلًا باليمين، فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين، إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة، قال: وكيف؟ قال: يحلفون لك، ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون، فتبطل أيمانهم؟ قال: فضحك المنصور، وقال: يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة، فلما خرج أبو حنيفة، قال له الربيع: أردت أن تشيط بدمي؟ قال: لا، ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي(١).

روي أنّ أبا العبّاس الطُّوسِيّ كان سيئ الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فدخل أبو حنيفة على أبي جعفر أمير المؤمنين وكثر النَّاس، فقال الطُّوسيّ: اليوم أقتل أبا حنيفة، فأقبل عليه، فقال: يا أبا حنيفة، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو، أيسعه لأن يضرب عنقه؟ فقال: يا أبا العباس، أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟ قال: بالحق، قال: انفذ الحق حيث كَانَ ولا تسل عنه، ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إنّ هذا أراد أن يوثقني فربطته.

---

(١) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٥، ص٤٨٧.

هذا... ولقد ظهرت الفتن سنة ثمان وأربعين ومائة وفيها خرج حسان بن مجالد[١]، وكان خروجه بنواحي الموصل[٢] بقرية تسمى بافخارى[٣] قريب من الموصل على دجلة، فخرج إليه عسكر الموصل، فالتقوا واقتتلوا وانهزم عسكر الموصل إلى الجسر، وأحرق الخوارج أصحاب حسان السوق هناك ونهبوه، وعزم على إنفاذ الجيوش إلى الموصل والفتك بأهلها. فأحضر أبا حنيفة وابن أبي ليلى وابن شبرمة، وقال لهم: إن أهل الموصل شرطوا إلي أنهم لا يخرجون علي، فإن فعلوا حلت دماؤهم وأموالهم، وقد خرجوا.

فسكت أبو حنيفة وتكلم الرجلان وقالا: رعيتك، فإن عفوت فأهل ذلك أنت، وإن عاقبت فبما يستحقون. فقال لأبي حنيفة: أراك سكت يا شيخ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أباحوك ما لا يملكون، أرأيت لو أن امرأة أباحت فرجها بغير عقد نكاح وملك يمين، أكان يجوز أن توطأ؟ قال: لا! وكفَّ عن أهل الموصل وأمر أبا حنيفة وصاحبيه بالعود إلى الكوفة[٤].

---

(١) وهو حسان بن مجالد بن يحيى الهمداني، وقد أخذ رأي الخوارج عن خاله حفص بن أشيم، وكان من علماء الخوارج وفقهائهم. ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص١٥٦.

(٢) الْمَوْصِلُ: بالفتح، وكسر الصاد: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبرًا وعظمًا وكثرة خلق وسعة رقعة فهي محطّ رحال الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان، فهي باب العراق ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان، وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل: وصلت بين دجلة والفرات. ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (-٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٥، ص٢٢٣.

(٣) بَافَخَّارى: بالفاء، والخاء المعجمة مشددة: قرية من أعمال نينوى في شرقي الموصل. الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٣٢٦.

(٤) ابن الأثير، **الكامل**، ج٥، ص١٥٦.

استمرّ أبو حنيفة على ولائه للدولة العباسية، وكان الخليفة المنصور يدنيه ويعظمه ويرفع شأنه وكان يقدم له الهدايا الغالية، ولكنه كان يردها في رفق وحيلة، إذ كان لا يقبل هداياه.

ثانيًا: الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

كان لأبي حنيفة دور كبير ومؤثر في الحالة الاجتماعية، فقد عُرف عنه أنه كان عالِمًا عاملًا سخّر علمه لخدمة المسلمين وقضايا المجتمع، فضلًا عن ذلك جعله وسيلة لهداية الناس وردّهم إلى جادة الصواب، إذ كان يتحسس هموم الناس ومعاناتهم، وكثيرًا ما كان يناظر أصحاب الفرق والأهواء من أجل إقناعهم للرجوع إلى عقيدتهم على ما تدعوه الشريعة والدين بالنصح لجميع المسلمين، وكانت الأموال عنده وسيلة لإغناء الفقراء والمحتاجين، وتفريج الكرب عن الغارمين والمكروبين، ورغم أنّ تجارته كان فيها الربح الوفير، إلّا أنّه قد سخّرها في نشر العلم وخدمة الدين، فقد كان ينفق أكثرها على طلاب العلم والفقراء فيكفيهم مؤونتهم إذ روي: "أنه كان كثير الصلة والبر لكل من لجأ إليه، كثير الإفضال على إخوانه، وكان يبعث بالبضائع إلى بغداد، فيشتري بها الأمتعة ويحملها إلى الكوفة، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة، فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدّثين، وأقواتهم وكسوتهم وجميع حوائجهم، ثم يدفع باقي الدنانير من الأرباح إليهم، فيقول: أنفِقوا في حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله، فإني ما أعطيتُكم من مالي شيئًا، ولكن من فضل الله عَليّ فيكم، وهذه أرباح بضائعكم، فإنّه هو والله مما يجريه الله لكم على يدي، فما في رزق الله حولٌ لغيره[1]، وكان كثيرًا ما يتمثّل بهذه الأبيات:

عطاء ذي العرش خير من عطائكم   وفضله واسع يرجى وينتظر

(١) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٥، ص٤٨٧.

أنتم يُكدّر ما تعطون مَنُّكُمُ   والله يعطي بلا مَنّ ولا كدر[1]

وروي أنه كان يتعهد تلاميذه بالرعاية والعناية، وينفق عليهم من ماله الخاص لكي يساعدهم في تجاوز محنة الفقر والإقبال على طلب العلم بقلوب صادقة وعقول نيّرة بعيدا عن هموم الدنيا ومصائبها ومشاغلها، ومن أبيَنِ دليل على ذلك ما فعله مع تلميذه أبي يوسف حين تكفّله بالعيش لما رأى ضرورات الحياة تصرفه عن طلب العلم، وأمدّه بماله حتى يتفرّغ تمامًا إلى طلب العلم ونشره، كما قال أبو يوسف: "وكان يعولني وعيالي عشرين سنة، وإذا قلتُ له ما رأيتُ أجود منك، يقول كيف لو رأيتَ حمادًا –يعني شيخه– ما رأيت أجمع للخصال المحمودة منه"[2].

وكان متواضعًا مع طّلابه يتفقّد أحوالهم إذا غابوا ويسأل عنهم إذا مرضوا، فقد روي أنّ أبا يوسف مرض مرضًا شديدا فعاده مرارًا، ودعا له بالسلامة وشجّعه على مقاومة المرض، كما قال الصيمري: "كان أبو يوسف مريضًا شديد المرض فعاده أبو حنيفة مرارًا فصار إليه آخر مرة فرآه ثقيلًا فاسترجع ثم قال: لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير ثم رزق العافية وخرج من العلة"[3].

---

(١) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٥، ص٤٨٧.

(٢) الهيتمي شهاب الدين أحمد بن حجر (-٩٧٤هـ/١٥٦٧م)، **الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان**، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ط، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص٨٣.

(٣) الصَّيْمَري أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الحنفي (-٤٣٦هـ/١٠٤٤م)، **أخبار أبي حنيفة وأصحابه**، بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٩.

وكان يحثّ من يعرفه على العناية بملبسه، وسائر مظهره، يروى: "رأى أبو حنيفة على بعض جلسائه ثيابًا رثة، فأمره فجلس حَتَّى تفرق النَّاس وبقي وحده، فقال له: ارفع المصلى وخذ ما تحته، فرفع الرجل المصلى فكان تحته ألف درهم، فقال له: خذ هذه الدراهم فغيِّر بها من حالك، فقال الرجل: إني موسر، وأنا في نعمة ولست أحتاج إليها، فقال له: أما بلغك الحديث «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ بِأَنْ يَرَىَ أَثَرَ نِعْمَتِه عَلَى عَبْدِهِ**»"؟[1] فينبغي لك أن تغير حالك حتّى لا يغتمّ بك صديقك"[2].

وكان يتفقّد جيرانه ويحسن إليهم فقد روي: أنّه كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف يعمل نهاره أجمع، حتَّى إذا جنّ الليل رجع إلى منزله، وقد حمل لحمًا فطبخه، أو سمكة فيشويها ثُمَّ لا يزال يشرب حتى إذا دب الشراب فيه غنى بصوت، وهو يقول:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليومٍ كريهةٍ وسدادِ ثغر

فلا يزال يشرب ويردّد هَذَا البيت حَتَّى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل يوم، وكان أبو حنيفة يصلي الليل كلّه، ففقد أَبُو حنيفة صوته، فسأل عنه، فقيل: أخذه العسس منذ ليال وهو محبوس، فصلى أَبُو حنيفة صلاة الفجر من غد، وركب بغلته، واستأذن على الأمير قال الأمير: ائذنوا له، وأقبلوا به راكبًا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط، ففعل، فلم يزل الأمير يوسع له من مجلسه، وقال: ما حاجتك؟ قال: لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ليال، يأمر الأمير

---

(١) الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (-٢٧٩هـ/٨٩٢م)، **سنن الترمذي**، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ط، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، باب ما جاء إنَّ اللَّهَ تعالى يحبّ أن يرى أثر نعمته على عبده، حديث (٢٨١٩)، ج٤، ص٤٢١.

(٢) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٥، ص٤٨٧.

بتخليته، فقال: نعم، وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا، فأمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فلمّا نزل أَبُو حنيفة مضى إليه، فقال: يا فتى، أضعناك؟ فقال لا، بل حفظت ورعيت، جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ورعاية الحق، وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان"[١].

وكذلك كان يقضي حوائج الناس كما ذكر الخطيب البغدادي: "كان أَبُو حنيفة لا يكاد يسأل حاجة إِلا قضاها، فجاءه رجل، فقال له: إنّ لفلان عليّ خمس مائة درهم وأنا مضيق، فسله أن يصبر عني ويؤخرني بها، فكلّم أبو حنيفة صاحب المال، فقال صاحب المال: هي له قد أبرأته منها، فقال الَّذي عليه الحق لا حاجة لي فيها، فقال أبو حنيفة: ليس الحاجة لك، وإنما الحاجة لي قضيت"[٢].

---

(١) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٥، ص٤٨٧.

(٢) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٥، ص٤٨٧.

مقدمة الكتاب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حمد الشاكرين بجميع محامده كلها على جميع نعمائه كلها، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا كما هو أهله، وصلى الله على محمد المصطفى رسول الرحمة خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، صلاة دائمة بركتها إلى يوم الدين، كما صلّى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنه حميد مجيد.

أما بعد، فمن هؤلاء الأئمة الأعلام الإمام المجتهد التابعي الجليل النعمان بن ثابت رضي الله عنه، ولأهميته وعلو قدره اختار الشيخ جميل بن محمد علي حليم الشافعي الأشعري -حفظه الله تعالى- أن يشرح وصيته التي جعلها منهاجًا ونبراسًا وطريقًا للدعاة الذين يريدون النجاح والفوز، والتي جاء فيها ما يحتاج إليه من أراد العمل في الدعوة إلى الله، ومن يريد تربية الطلاب والأتباع، والتي خصّ بها فقيهًا في العلم وهو أبو خالد يوسف بن خالد بن عُمير السمتي.

فإن عمل القائمون على التربية والدعوة والتعليم وتنشئة الأجيال وتهذيب الأبناء بمضمون هذه الوصية فازوا وربحوا ونجوا في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى.

نرجو الله تعالى أن يجعل فيه الخير العميم والنفع الظيم للجميع.

وصية الإمام

أبي حنيفة النعمان

رضي الله عنه وأرضاه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذه وصية الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه لتلميذه يوسف بن خالد السمتي البصري.

وصّى بها حين استأذنه الخروج إلى وطنه البصرة. فقال: لا، حتى أتقدّم إليك بالوصية فيما تحتاج إليه في معاشرة الناس، ومراتب أهل العلم، وتأديب النفس، وسياسة الرعية، ورياضة الخاصّة والعامّة، وتفقّد أمر العامّة، حتى إذا خرجت بعلمك، كان معك آلةٌ تَصْلُح لك وتزينُك ولا تَشِينُك.

واعلم أنك متى أسأت عشرة الناس صاروا لك أعداء، ولو كانوا أمهاتٍ وآباء، ومتى أحسنت عشرة الناس من أقوامٍ ليسوا لك أقرباء صاروا لك أقرباء.

ثم قال لي: اصبر يومًا حتى أفرّغ لك نفسي، وأجمع لك همتي وأُعرّفك من الأمر ما تحمدني، وتجعل نفسك عليه، ولا توفيق إلا بالله.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أنا أكشف لك عما عزمت عليه.

كأني بك وقد دخلت بصرة، وأقبلت على المناقضة، مع مخالفيك، ورفعت نفسك عليهم، وتطاولت بعلمك لديهم، وانقبضت عن معاشرتهم ومخالطتهم، وهجرتهم فهجروك، وشتمتهم فشتموك، وضللتهم فضلّوك، وبدّعتهم فبدّعوك، واتّصل ذلك الشّيْنُ بنا وبك، واحتجتَ إلى الهرب، والانتقال عنهم، وليس هذا برأيٍ! فإنه ليس بعاقل من لم يدار من ليس له من مداراته بُدٌّ، حتى يجعل الله تعالى له مخرجًا، قال السمتي: ولقد كنتُ مزمعًا على ما قال.

ثم قال أبو حنيفة رضي الله عنه: إِذَا دَخَلْتَ الْبَصْرَةَ وَاسْتَقْبَلَكَ النَّاسُ، وَزَارُوْكَ وَعَرَفُوْا حَقَّكَ، فَأَنْزِلْ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَنْزِلَتَهُ، وَأَكْرِمْ أَهْلَ الشَّرَفِ، وَعَظِّمْ أَهْلَ الْعِلْمِ، وَوَقِّرِ الشُّيُوْخَ، وَلَاطِفِ الْأَحْدَاثَ، وَتَقَرَّبْ مِنَ الْعَامَّةِ، وَدَارِ الْفُجَّارَ، واصْحَبِ الْأَخْيَارَ، وَلَا تَتَهَاوَنْ بِالسُّلْطَانِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ أَحَدًا يَقْصِدُكَ، وَلَا تَقْصِرَنّ فِيْ إِقَامَةِ مَوَدَّتِكَ إِيَّاهُمْ، وَلَا تُخْرِجَنَّ سِرَّكَ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا تَثِقَنَّ بِصُحْبَةِ أَحَدٍ حَتّى تَمْتَحِنَهُ، وَلَا تُخَادِمْ خَسِيْسًا، وَلَا وَضِيْعًا، وَلَا تَقُوْلَنَّ مِنَ الْكَلَامِ مَا يُنْكَرُ عَلَيْكَ فِيْ ظَاهِرِهِ، وَإِيَّاكَ وَالِانْبِسَاطِ إِلَى السُّفَهَاءِ، وَلَا تُجِيْبَنَّ دَعْوَةً، وَلَا تَقبَلَنَّ هَدِيَّةً، وَعَلَيْكَ بِالْمُدَارَاةِ وَالصَّبْرِ وَالِاحْتِمَالِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَسَعَةِ الصَّدْرِ، وَاسْتَجِدَّ ثِيَابَكَ، وَأَكْثِرِ اسْتِعْمَالَ الطِّيْبِ وَقَرِّبْ مَجْلِسَكَ، وَلْيَكُنْ ذَلِكَ فِيْ أَوْقَاتٍ مَعْلُوْمَةٍ.

وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ خَلْوَةً ترمُّ بِهَا حَوَائِجَكَ، وَابْحَثْ عَنْ أَخْبَارِ حَشَمِكَ، وَتَقَدَّمْ فِيْ تَقْوِيْمِهِمْ، وَتَأْدِيْبِهِمْ، وَاسْتَعْمِلْ فِيْ ذَلِكَ الرِّفْقَ ولا تُكْثِرِ العَتَبَ فيهُونَ العذْلُ وَلَا تلِ تَأْدِيْبَهُمْ بِنَفْسِكَ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِمَائِكَ وَأَهْيَبُ لَكَ.

وَحَافِظْ عَلَى صَلَوَاتِكَ، وَابْذُلْ طَعَامَكَ، فَإِنَّهُ مَا سَادَ بَخِيْلٌ قَطُّ، وَلْيَكُنْ لَكَ بِطَانَةٌ تُعَرِّفُكَ أَخْبَارَ النَّاسِ، فَمَتَى عَرَفْتَ بِفَسَادٍ بَادَرْتَ إِلَى صَلَاحٍ، وَمَتَى عَرَفْتَ بِصَلَاحٍ فَازْدَدْ رَغْبَةً وَعِنَايَةً فِيْ ذَلِكَ، وَاعْمَدْ فِيْ زِيَارَةِ مَنْ يَزُوْرُكَ وَمَنْ لَا يَزُوْرُكَ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، أَوْ أَسَاءَ.

وَخُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ، وَتَغَافَلْ عَمَّا لَا يَعْنِيْكَ وَاتْرُكْ كُلَّ مَنْ يُؤْذِيْكَ، وَبَادِرْ فِيْ إِقَامَةِ الْحُقُوْقِ.

وَمَنْ مَرِضَ مِنْ إِخْوَانِكَ فَعُدْهُ بِنَفْسِكَ، وَتَعَاهَدْهُ بِرُسُلِكَ، وَمَنْ غَابَ مِنْهُمْ فَتَفَقَّدْ أَحْوَالَهُ.

وَمَنْ قَعَدَ مِنْهُمْ عَنْكَ فَلَا تَقْعُدْ أَنْتَ عَنْهُ.

وَصِلْ مَنْ جَفَاكَ، وَأَكْرِمْ مَنْ أَتَاكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَمَنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمْ بالقبيحِ فِيْكَ فَتَكَلَّمْ فِيْهِ بِالحَسَنِ الجَمِيْلِ. وَمَنْ مَاتَ قَضَيْتَ لَهُ حَقَّهُ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فَرْحَةٌ هَنَّيْتَهُ بِهَا، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ مُصِيْبَةٌ عَزَّيتَهُ عَنْهَا.

وَمَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ فَتَوَجَّعْ لَهُ بِهِ.

وَمَنِ اسْتَنْهَضَكَ لِأَمْرٍ مِنْ أُمُوْرِهِ نَهَضْتَ لَهُ، وَمَنِ اسْتَغَاثَكَ فَأَغِثْهُ، وَمَنِ اسْتَنْصَرَكَ فَانْصُرْهُ.

وَأَظْهِرِ التَّوَدُّدَ إِلىَ النَّاسِ مَا اسْتَطَعْتَ.

وَأَفْشِ السَّلامَ، وَلَوْ عَلَى قَوْمٍ لئامٍ.

وَمَتَى جَمَعَكَ وَغَيْرَكَ مَجْلِسٌ أَوْ ضَمَّكَ وَإِيَّاهُمْ مَسْجِدٌ، وَجَرَتِ الْمَسَائِلُ، وَخَاضُوْا فِيْهَا بِخِلَافِ عِنْدَكَ، لَمْ تُبْدِ لَهُمْ مِنكَ خِلَافًا.

فَإِنْ سُئِلْتَ عَنْهَا! أَجَبْتَ بِمَا يَعْرِفُهُ الْقَوْمُ، ثُمَّ تَقُوْلُ: وَفِيْهَا قَوْلٌ ءاخَرُ كَذَا، وَحُجَّتُهُ كَذَا، فَإِذَا سَمِعُوْا مِنكَ عَرَفُوا قَدْرَكَ وَمِقْدَارَكَ، وَإِنْ قَالُوْا: هَذَا قَوْلُ مَنْ؟ فَقُلْ قَوْلُ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ.

وَإِنِ اسْتَقَرُّوْا عَلَى ذَلِكَ، وَأَلِفُوْهُ، وَعَرَفُوْا مِقْدَارَكَ وعَظَّمُوْا مَحَلَّكَ، فَأَعْطِ كُلَّ مَنْ يَخْتَلِفُ إِلَيْكَ نَوْعًا مِنَ الْعِلْمِ يَنْظُرُوْنَ فِيْهِ، وَيَأْخُذُ كُلٌّ مِنْهُمْ بِحَظٍّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. وخُذْهُم بِجَلِيِّ الْعِلْمِ دُوْنَ دَقِيْقِهِ.

وَءَانِسْهُمْ وَمَازِحْهُمْ أَحْيَانًا، وَحَادِثْهُمْ، فَإِنَّهَا تَجْلِبُ الْمَوَدَّةَ وَتَسْتَدِيْمُ بِهِ مُوَاظَبَةَ الْعِلْمِ، وَأَطْعِمْهُمْ أَحْيَانًا، وَاقْضِ حَوَائِجَهُمْ، وَاعْرِفْ مِقْدَارَهُمْ، وَتَغَافَلْ عَنْ زَلَّاتِهِمْ، وَارْفُقْ بِهِمْ وَسَامِحْهُمْ.

وَلَا تُبْدِ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ضِيْقَ صَدْرٍ أَوْ ضَجَرًا، وَكُنْ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ.

وَارْضَ مِنْهُمْ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ.

وَعامِلِ الناسَ مُعامَلَتَكَ لِنَفْسِكَ.

وَاسْتَعِنْ عَلَى نَفْسِكَ بِالصِّيَانَةِ لَهَا، وَالْمُرَاقَبَةِ لِأَحْوَالِهَا.

وَلَا تَضْجَرْ لِمَنْ لَا يَضْجَرُ عَلَيْكَ.

وَدَعِ الشَّغَبَ، وَاسْتَمِعْ لِمَنْ يَسْتَمِعُ مِنْكَ، وَلَا تُكَلِّفِ النَّاسَ مَا لَا يُكَلِّفُوْكَ، وَارْضَ لَهُمْ مَا رَضُوْا لِنَفْسِهِمْ، وَقَدِّمْ حُسْنَ النيّةِ، وَاسْتَعْمِلِ الصِّدْقَ، واطْرَحِ الكِبْرَ جانِبًا، وَإِيَّاكَ وَالْغَدْرَ، وَإِنْ غَدَرُوْا بِكَ، وَأَدِّ الْأَمَانَةَ، وَإِنْ خَانُوْكَ.

وَتَمَسَّكْ بِالْوَفَاءِ، وَاعْتَصِمْ بِالتَّقْوَى.

وَعَاشِرْ أَهْلَ الْأَدْيَانِ حَسَبَ مُعَاشَرَتِهِمْ لَكَ، فإنّك إن تمسّكتَ بوصيتي هذه رجوتُ أن تسْلَمَ، وتَعِيْشَ سالِمًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى.

ثمّ إنه ليحزُنُني مُفارَقَتُك، وتُؤْنِسُنِيْ مَعْرِفَتُك، فواصِلْني بِكُتُبِكَ، وعرِّفْني بحوائجِك، وكُنْ لي كابنٍ فإنِّي لك كأبٍ.

قال يوسفُ بنُ خالدٍ السَّمْتيّ:

ثمّ أخْرجَ إليّ دنانيرَ وكسوةً وزادًا وَخَرجَ معي، وحمَّلَ ذلك حمّالًا، وجَمَعَ أصْحابَه حتى شَيَّعُوْني، ورَكِبَ معهم حتى بَلَغْنا إلى شطِّ الفرات، ثم ودَّعُوْني ودَّعتُهم.

وكانتْ مِنَّةُ أبي حنيفة رضي الله عنه بوصيّته إليّ وبرّهِ أعظَمَ من كلِّ مِنّةٍ تقدَّمَتْ عليّ.

وقَدِمْتُ البصرةَ، فاستَعْمَلتُ ما قالَ، فما مرّتْ عليّ أيامٌ يسيرةٌ حتى صاروا كلّهم لي أصدقاءَ، وانتقَضْتُ المجالسَ، وظَهَر بالبَصْرَةِ مَذْهبُ أبي حنيفة رضي الله عنه، كما ظهَرَ بالكوفة، وسقَطَ[١] مَذْهبُ الحسنِ، وابن سيرين رضي الله عنهما، فما زالتْ كتبُ أبي حنيفة تجيئُني إلى أن مات رحمه الله.

فهنيئًا لك من معلّمٍ صالحٍ وأستاذٍ صالحٍ.

فمن لنا مثلُه رضي الله عنه.

---

(١) أي انقرض.

شرح وصية الإمام

أبي حنيفة النعمان

رضي الله عنه وأرضاه

شَرْحُ وَصِيّةِ الإمَامِ أبِيْ حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (إِذَا دَخَلْتَ الْبَصْرَةَ وَاسْتَقْبَلَكَ النَّاسُ، وَزَارُوْكَ وَعَرَفُوْا حَقَّكَ، فَأَنْزِلْ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَنْزِلَتَهُ).

الشرح: أوصاه رضي الله عنه بهذه الوصية لِمَا عرف من حاله أنّه مسافر وقادم على أناس غرباء لا يعرف عاداتهم، فردّه إلى ءاداب السلام التي هي سادات العادات وبذلك يتألّفهم ويتألّفونه.

وليس بجديد على الإمام الاقتباس من الأحاديث النبوية في وصاياه، فعينُ هذه الوصيّة عند الإمام أبي داود، فقد روى في السنن أنّ عائشة مرّ بها سائلٌ فأعطته كسرةً، ومرّ بها رجل عليه ثيابٌ وهيئةٌ فأقعدته فأكل، فقيل لها في ذلك فقالت: قال رسول الله ﷺ: «**أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**»[1].

هذا الحديث لا شكّ أنّه قاعدة عظيمة في هذا الباب، إذ يبيّن لنا أنّ الكبيرَ له معاملةٌ، والصغيرَ له معاملةٌ، والجاهلَ له معاملةٌ، والعالمَ له معاملةٌ، والرجلَ له معاملةٌ، والمرأةَ له معاملةٌ، وهلُمّ جرًّا.

---

(١) السِّجِسْتاني أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي (-٢٧٥هـ/٨٨٨م)، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت، حديث (٤٨٤٢)، ج٤، ص٢٦١.

ولذلك قال الإمام مسلم في مقدمة "الصحيح" «**فَلَا يُقَصَّرُ بِالرَّجُلِ الْعَالِي الْقَدْرِ عَنْ دَرَجَتِهِ، وَلَا يُرْفَعُ مُتَّضِعُ الْقَدْرِ فِي الْعِلْمِ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ، وَيُعْطَى كُلُّ ذِي حَقٍّ فِيهِ حَقَّهُ، وَيُنَزَّلُ مَنْزِلَتَهُ**»[١].

فلا شكّ أنّ المقرّبين عند الله تعالى هم الذين يؤدّون الفرائض والواجبات ويجتنبون المحرّمات، فهؤلاء لهم مكانتهم نحبّهم ونحترمهم، ونُنَزِّلُهم منزلةً رفيعةً.

ولا تنس أيها المسلم في معاملة الكبير والصغير قوله ﷺ:[٢]. وقوله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ**»[٣]، أي من تعظيم الله احترامُ المسلم الكبير ذي الشيبة وتوقيرُه؛ لأنّ الله أمرنا بذلك.

والنظر إلى فعل النبي ﷺ مع والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد روى أحمدُ في "المسند" عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنّها قالت: لما دخل رسولُ الله ﷺ مكةَ، ودخل المسجد، أتاه أبو بكر بأبيه، فلما رآه رسول الله ﷺ، قال: «**هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ**» قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «**أَسْلِمْ**»، فأسلَمَ[٤].

---

(١) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (-٢٦١هـ/٨٧١م)، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، ج١، ص٥.

(٢) أي ليس على آدابنا وطريقتنا الكاملة. الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (١٩١٩)، ج٣، ص٣٨٥.

(٣) أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث (٤٨٤٣)، ج٤، ص٢٦١.

(٤) ابن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (-٢٤١هـ/٨٥٥م)، **مسند أحمد**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج٤٤، ص٥١٨.

قَالَ الإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رضي اللهُ عنهُ: (وَأَكْرِمْ أَهْلَ الشَّرَفِ، وَعَظِّمْ أَهْلَ الْعِلْمِ).

الشرح: هذه جملةٌ من نصائح الإمام رضي الله عنه تدور حول موضوع واحد أو تُبَوّبُ تحت عنوانٍ واحدٍ وهو علاقةُ العالم بغيره، وإنّما كرّر وأعاد الإمام للتأكيد والحثّ على التخلُّق بها.

وليتّضح معنى هذه النصيحة نذكر معنى الإكرام والشرف.

فمن معاني الإكرام التعظيمُ، ومن معاني الشرف العلوُّ والمجدُ، ولا يتشرّف الإنسان إلّا بالإسلام وءادابه والتقوى وسبيلها، ولذلك قال سيدنا عمر رضي الله عنه فيما رواه الحاكم[1]:

«إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ».

وفي مُقدَّم أهل الشرفِ العلماءُ، فلا يخفى على ذي عقلٍ سليمٍ أنّ للعلم والعلماء مكانةً عظيمةً في الدين وفضلًا كبيرًا لا يُنكَرُ. فقد جاءت نصوصُ الشريعة متوافرةً متعاضدةً تُعزّزُ من مكانتهم، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران].

قال المفسّر القرطبي[1] رحمه الله: "في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحدٌ أشرفَ من العلماء لَقَرَنَهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء".

---

(١) الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (-٤٠٥هـ/١٠١٤م)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج١، ص١٣٠.

ورد في السنة أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[٢].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**»[٣]، فياله من فضلٍ كبيرٍ وشرفٍ عظيمٍ.

ثم اعلم أيها القارئ أن توقير العلم والعلماء من إجلال الله وتعظيمه وتعظيم شريعته فقد قال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»[٤].

---

(١) شمس الدين القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (-٦٧١هـ/١٢٧٣م)، **تفسير القرطبي**، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج٤، ص٤١.

(٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث (٣٦٤١)، ج٣، ص٣١٧.

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢٦٨٥)، ج٤، ص٣٤٧.

(٤) مرّ تخريجه. انظر ص٥٨.

وهذا الصحابي الجليل ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يأخذ بركاب أبي بن كعب، فقيل له: أنت ابن عم رسول الله تأخذ بركاب رجل من الأنصار، فقال: إنه ينبغي للحَبر أن يُعَظَّمَ ويُشَرّفَ. ذكرها الخطيب البغدادي في "الجامع لأخلاق الراوي وءاداب السامع"(١).

---

(١) الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (-٤٦٣هـ/١٠٧٢م)، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تحقيق د. محمود الطحان، الرياض، مكتبة المعارف، د.ط، د.ت، ج١، ص١٨٨.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (ووَقِّرِ الشُّيُوْخَ).

الشرح: هذه النصيحة قد مرّ الكلام عليها سابقًا لكن أردنا طالما أنّ الإمام أعادها أن نُخُصّ بالشيوخ الوالدين، فنقول: إنّ الإحسان يتأكّد أكثرَ في حقّ الوالدين، قال تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣**﴾ [الإسراء].

فأحْسِنْ أيها الابن وأيتها البنت معاملةَ والديكما وخاصّةً عند الكِبَر، فهما في حالة ضعفٍ وعجزٍ، وتذكَّرا أنّهما عندكما في ءاخر العمر كما كنتما عندهما عاجزين أوّل العمر، فلا تقل ولا تقولي لهما ما يكون فيه أدنى تضجُّرٍ، وأحسنا إليهما بفعلكما وقولكما الكريم، وتواضعا لهما وادعوا لهما بخيري الدنيا والآخرة، فهنيئًا لمن قام بالبرّ والإحسان إليهما وخفض لهما جناح الذل من الرحمة.

وفي الحديث: «**وَبَرُّوْا آبَاءَكُمْ يَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ**»[1].

ولقد نال أويس بن عامر القرني منزلةً عظيمةً ببركة برّه لأمّه ورعايته لها، ولما لقيه سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**»، فقال له سيدنا عمر: استغفر لي، فاستغفر له[2].

---

(١) الحاكم، **المستدرك**، ج٤، ص١٧٠.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٥٤٢)، ج٤، ص١٩٦٩.

فدائمًا أيها الشباب اذكر الآية المارّة وتأمّلها وتفكّر فيها، فلا تنهرهما ولا تزجُرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك إن كان حرامًا، وألِنْ لهما جانبًا متذلّلًا لهما من فرط رحمتك إياهما وعطفِك عليهما ولكِبَرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس.

ويناسب هنا أن نحذّر من معصية عقوق الوالدين لما نرى من حال كثير من الشباب الوقوع في هذه الكبيرة.

قال بعض العلماء "برُّ الأمهات والآباء بركةٌ في الدنيا والآخرة، ومن أراد أن تكون عاقبته حميدة فليبرّ أبويه، ومن لم يبرّ أبويه فعاقبته وخيمة، والعاقّ لأبويه الذي هذا دأبه ويموت على ذلك الله لا يبارك فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة".

وقال ﷺ «**رِضَا اللهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ**»[(١)]. وقال ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ بوَالِدَيْهِ، وَالدَّيُّوثُ، وَرَجِلَةُ النِّسَاء**»[(٢)]. وهذا إن لم يتوبوا وإما إن تابوا فقد قال ﷺ: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»[(٣)].

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلَاطِفِ الْأَحْدَاثَ).

الشرح: ذكره رضي الله عنه بوصيّة عظيمة في تعامله مع غيره ينبغي التخلق بها لا سيّما فيمن هو بصفة العالم ومن هو محلّ اقتداء، ومُفَاد هذه النصيحة الرحمة والرفق بالغير والتلطّف

---

(١) البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (-٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، **شعب الإيمان**، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج١٠، ص٢٤٦.

(٢) الحاكم، **المستدرك**، ج١، ص١٤٤.

(٣) البيهقي، **شعب الإيمان**، ج٩، ص٣٧٠.

والتودّد إليهم سيما إن كان ذلك الغير حديث السنّ أو صغيرًا، فهذا من خُلُق وهدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولقد ضرب لنا سيد الخلق محمد ﷺ خير أمثلةٍ في ذلك كيف لا وقد وصفه ربّه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]. فكان الاقتداء به والتأسي بأخلاقه الكريمة المباركة شرفًا يفتخر به الإنسان.

فقد كان النبي ﷺ شديد الاهتمام بالأطفال، ولذلك فقد دعا إلى تأديبهم وغرس الأخلاق الكريمة في نفوسهم وحثّ على رحمتهم والشفقة عليهم، فقال ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنا**»[١]، أي على هدينا الكامل.

وكان يوصيهم بالخير ويعلّمهم التوحيد والدين، فلم يكن رفقه وشفقته الكريمة عليهم بمانعة له من نصحهم وإرشادهم وإصلاحهم.

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (١٩١٩)، ج٣، ص٣٨٥.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَتَقَرَّبْ مِنَ الْعَامَّةِ).

الشرح: تواضعٌ وانكسارٌ، رأفةٌ ورحمةٌ وتلطّفٌ، همّةٌ عاليةٌ ومداراةٌ ومفتاحٌ دَعَوِيٌّ، كُلُّ هذا بل وأزيد هو ما يوصي به الإمام، نعم، فالتقرّب من العامة يحملك على هذه الصفات الكريمة، فالتعامل مع العامّة يحتاج إلى كثير عناية ومراقبة للنفس في أفعالها وتصرّفاتها وأقوالها، ودائمًا تحتاج إلى أن تلاحظ الحكمة والحنكة في ذلك كله.

وإليك بعض الإشارات في ذلك:

– التواضع لهم ويكون معيار تقديرك لأي شخص هو دينه فلا تستصغر أحدًا تفكّهًا فتَهْلِكَ، فإنّك لا تدري لعلّه خيرٌ منك وأطوعُ لله منك، وفي الوقت نفسه لا تنظر إليهم بعين التعظيم في دنياهم ولأجلها، فإنّ الدنيا ملعونةٌ ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالِمًا أو متعلّمًا.

– النهي عن معاداتهم إلا ما كان فيه معصيةٌ لله من أفعالهم ومع ذلك تنظر إليهم بعين الشفقة والرحمة وتعمل على نصحهم ما استطعت لإخراجهم من المعصية وإرجاعهم إلى الطاعة.

– النهي عن معاداتهم عند رفضهم مساعدتَك في أغراضك الخاصّة وأمورك الدنيوية، فلا تذمّهم فتكتسبَ عداوتهم بل تذكّر الإحسانَ والإكرامَ معهم.

– الوعظ: عظْهم وانصحهم إذا رأيت فيهم اثر القبول لئلّا يُعاديَك بعضهم ولا يسمع منك.

فينبغي للعالم أن لا ينعزل عن العامة بل يخرج إليهم ويعمل على إصلاحهم وتربيتهم وتغيير حالهم، فإنّه لا يدري من ينقلب عالِمًا منهم، فإنهم مفتاحٌ دعَوِيٌّ لمن عرف كيف يستغلّه.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَدَارِ الْفُجَّارَ).

الشرح: أمره رضي الله عنه بحسن الخلق وذكَّره حُبّ الخير للغير، فمن وجد إنسانًا سواءٌ كان صديقًا أو غيره على معصية الله فعليه أن ينصحه ويخوّفه اللهَ وعقابَه، وهذا واجبٌ حسب القدرةِ لأنّه من باب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[1]. أي أقلّ ما يلزم الإنسان عند العجز.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (واصْحَبِ الأَخْيَارَ).

الشرح: نصيحةٌ تحوي في طيّاتها الكثير من المعاني والجليل من أبكار الفوائد وفي معناها نخوض وفي شرحها نقول: إنّ التشبّه بأهل الخير والتقوى أمرٌ حسنٌ، ولهذا يُشْرَعُ الاقتداء بالنبي ﷺ في اقواله وأفعاله وأخلاقه، وذلك مقتضى المحبّة الصحيحة؛ فإنّ المرء مع من أحبّ.

فمما يُراد من صحبة الأخيار إصلاح الأعمال والأحوال والاقتداء بهم في ذلك، والانتقال من الغفلة إلى اليقظة، فالجليس الصالح يأمر بالخير وينهاك عن الشرّ، ويُسْمِعك العلم النافع، ويعرّفك عيوب نفسك ويشغلك عما لا يعنيك، ويُشجِّعك على الطاعة ويُنفِّرك من المعصية، ولا يزال ينفعك حتى يكون كبائع المسك وأنت الجليس أو المشتري .

الجليس الصالح هو من خير مكاسب الدنيا، فلا تصحب من إذا حدّثك كذب، وإذا ائتمنته خانك، وإذا ائتمنك اتهمك.

أخي الحبيب إنّ في مصاحبة الصالحين ثمراتٍ منها.

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٤٩)، ج١، ص٦٩.

أنت مع من أحببت: فقد أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه، أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا**»، قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ فقال: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». قال أنس: فما فرحنا بشيء، فَرَحنا بقول النبي ﷺ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم[(١)].

– **محبّة الله**: ففي الحديث القدسي: «**وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ**»[(٢)]. وفي الحديث الشريف «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**»[(٣)]. وهذه المحبة الصادقة سبب لعلوّ المنزلة ورفعة الدرجة يوم القيامة، ففي حديث السبعة الذين يظلّهم الله في ظلّ عرشه يوم لا ظلَّ إلّا ظلُّه: «**وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْه**»[(٤)].

---

(١) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (-٢٥٦هـ/٨٦٦م)، **صحيح البخاري**، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، حديث (٣٦٨٨)، ج٥، ص١٢.

(٢) أي ثبتت، وليس معناه الذي كما تقول به المعتزلة خذلهم الله، فقولهم باطل، إذ لا يجب على الله شيء ألبتة.

(٣) الحاكم، **المستدرك**، ج٤، ص١٨٦.

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٦٦٠)، ج١، ص١٣٣.

– **بركة المجالس والخير الذي يعمّ:** فقد جاء في الحديث الطويل في فضل مجالس الذكر: «**فَتَقُوْلُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبّ، إنّ فِيهِمْ فُلاَنًا لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. فَيَقُوْلُ الله للملائكة: هُمُ القوم لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ**»[١].

– **التأثّر بهم:** ففي الحديث «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ**[٢]**، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[٣].

فالصداقة المتينة والصحبة الصالحة لا تحُلُّ في نفيسٍ إلا هذّبت أخلاقَها الذميمة، فهنيئًا لمن وجد جليسًا وصديقًا صالحًا فإنّه في هذه الأزمنة من أندر النادر، فيا فوز ويا سعد من حصّله فلزمه وانتفع به وعمِل بهَديه.

فابحث عن الجليس الصالح، واهجر الفاسق فإنّه خراب وقد يؤدّي بك إلى الضلال والمهالك والعواقب الوخيمة.

وفي الختام نذكركم بقوله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٦٨﴾[٤]. فماذا بعد قول رسول الله ﷺ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلَا تَتَهَاوَنْ بِالسُّلْطَانِ).

الشرح: إنّ الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه صاحبُ ذهنٍ متّقد، ورؤيةٍ حكيمةٍ، فبعد أن دلّه على كيفية التعامل مع العلماء والعامّة والفجّار انتقل إلى نصيحةٍ ذات أهميةٍ كبيرةٍ محوَرُها التعامل مع السلطان، وهو أمرٌ يحتاج إلى عنايةٍ شديدةٍ.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٦٤٠٨)، ج٨، ص٨٦.

(٢) أي على سيرته وعادته أي غالبًا ما يتأثّر به.

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢٣٧٨)، ج٤، ص١٦٧.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٦٧-٦٨.

فالبداية مع ما رواه مسلم في الصحيح عن تميمٍ الداريّ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قلنا: لمن؟ قال: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١).

وقد قال بعض الشراح في قول النبي ﷺ «**وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»: هم الخلفاء ونوابهم بطاعتهم فيما يوافق الحق كالصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم إن طلبوها أو كانوا عادلين، وترك الخروج عليهم وإن جاروا، والدعاء بالصلاح لهم، ومعاونتهم على ترك الظلم، وتنبيههم وتذكيرهم بالله وأحكامه وحِكَمِه ومواعظه، لكن برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه أو لم يبلغهم من حقوق المسلمين، وتأليف قلوب الناس لطاعتهم وعدم إغرائهم بالثناء الكاذب عليهم.

وعن عياض بن غنم الأشري أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُكَلِّمْهُ بِهَا عَلَانِيَةً، وَلْيَأْخُذْ بِيَدِهِ، وَلْيُخْلِ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَهَا قَبِلَهَا، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ وَالَّذِي لَهُ**»(٢).

وعن أسامة بن زيد، قال: قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال أترون أني لا أكلمه إلا أُسْمِعُكم؟ والله، لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون أن أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتحه(٣).

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٥٥)، ج١، ص٧٤.

(٢) الحاكم، **المستدرك**، ج٣، ص٣٢٩.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٩٨٩)، ج٤، ص٢٢٩٠.

قال النووي[1] رحمه الله موضحًا قصد أسامة رضي الله عنه قوله "أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من أفتتحه" يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ كما جرى لقتلة عثمان رضي الله عنه وفيه الأدب مع الأمراء واللطف بهم ووعظهم سرًّا.

وقال القاضي عياض في "الإكمال" ما نصّه: "يعنى فى المجاهرة بالنكير والقيام بذلك على الأمراء، وما يخشى من سوء عقباه"، ثم قال "وفيه التلطف مع الأمراء، وعرض ما ينكر عليهم سرًّا".

فيُختار الكلام مع سلطان في الخلوة على الكلام معه على رؤوس الأشهاد وذلك عند التماس أثر القبول منه والمصلحة في ذلك، ولم تدع الحاجة إلى الجهر.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلَا تَحْقِرَنَّ أَحَدًا يَقْصِدُكَ).

الشرح: الكلام في هذه النصيحة من جانبين:

– إغاثة الملهوف.

– عدم التكبر على عباد الله.

يقول النبي ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا**»[2].

---

(١) النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (-٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، **المنهاج**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٣٩٢م، ج١٨، ص١١٨.

(٢) الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (-٣٦٠هـ/٩٧١م)، **المعجم الصغير**، تحقيق محمد شكور ومحمود الحاج أمرير، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٢، ص١٠٦.

إن إغاثة الملهوف ومساعدة المكروب وإعانة أهل الحاجات عمل إسلامي رفيع وخُلُق نبوي قديم تقتضيه الأخوة الصادقة وتدفع إليه المروءة ومكارم الأخلاق.

فما أغلاها من فرصةٍ وما أعلاها من درجةٍ وما أسعد من اصطفاه الله لمنفعة الناس ببشارة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام حيث قال: **نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»**[1].

وفي هذا الحديث دليل على جواز الاستعانة بغير الله.

وما أهنأهم من بين أهل المواقف وما أربح سعيهم في ذلك اليوم، قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُظِلَّهُ اللهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**[2]**، فَلْيُيَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ أَوْ لِيَضَعْ عَنْهُ»**.

وأما النصيحة فنقول:

إنّ من معاصي القلب -التي هي من الكبائر- التكبر على عباد الله، وهو ردّ الحق على قائله مع العلم أن الصواب مع القائل لنحو كون القائل صغير السنّ فيستعظم أن يرجع إلى الحق من أجل أن قائله صغير السنّ أو لأنه من الخاملين — أي غير المشهورين- والمردود عليه من المشهورين البارزين.

واستحقار الناس أي ازدراءهم كأن يتكبّر على الفقير وينظر إليه نظر احتقار، وقد نهى الله عباده عن التكبّر، قال تعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا**﴾ [لقمان/١٨]؛ أي ولا تعرض عنهم متكبّرًا، ﴿**وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا**﴾؛ أي لا تمش مشية الكبر.

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٦٩٩)، ج٤، ص٢٠٧٤.

(٢) أي ظلّ عرشه، وليس معناه أنّ الله له ظلّ، تعالى الله عن ذلك.

وروى مسلم من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»[1]. وقال ﷺ: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[2].

وأما التكبر فهو مذموم في وجه المؤمن وغير المؤمن لأنّ الأنبياء لما دعوا الكفار إلى الدين ما كانوا متكبرين عليهم، لأنّهم لو كانوا متكبرين في وجوه الكفار لنفروا منهم، فطوبى لمن اعتبر.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلَا تَقْصِرَنّ فِيْ إِقَامَةِ مَوَدَّتِكَ إِيَّاهُمْ).

الشرح: قد شمل كلام الإمام ضمن طيّاته هذه النصيحة، فهي تُفهَم من عدّة نصائح تقدّمت وقد بسطنا الكلام قبل وشرحناه، ولكن لما كانت لهذه النصيحة مزيّةٌ أكّد الإمام على الالتزام والتخلّق بها، فمن الآداب التي تتقوى بها أواصر الألفة والمحبة والأخوة في الله.

أن يتجنّب الشخص الظلم فإنّه ظلمات يوم القيامة، وأن يراعي حقوق الأخوة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**» **قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ:** «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»[3].

– أن يتلطّف بالنصح له، قال الله تعالى: ﴿**وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ**﴾ [العصر]. وروي عن الإمام الشافعي

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٨٦٥)، ج٤، ص٢١٩٨.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٥٨٨)، ج٤، ص٢٠٠١.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢١٦٢)، ج٤، ص١٧٠٥.

رضي الله عنه «**مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ زَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ شَانَهُ**». وذلك إذا كانت المصلحة تتحقق بالسرّ وكانت النصيحة في العلن تؤدّي إلى مفسدة.

– ويستقبله بالبشاشة والابتسامة الحنون التي تترك أثرها الطيب في القلب مع احتساب الأجر، فعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»(١).

– أن لا يحقر ولا يهزأ ولا يطعن ولا يلعن؛ فإنّ هذا ليس من صفات المؤمن الكامل، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشِ وَلاَ البَذِيءِ**»(٢).

– التروي والنظر في عواقب الأمور، والحذر من الشهوات والشبهات والفتن والمعاصي وتقلب القلوب، فقد كان من دعاء رسول الله ﷺ «**يَا مُثبِّتَ الْقُلُوبِ، ثبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ**»(٣).

أسأل الله تعال أن يجمعنا على منابر من نور يوم القيامة مع المتحابين بجلاله إنه على ما نسأله قدير.

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (١٩٥٦)، ج٣، ص٤٠٤.

(٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (١٩٧٧)، ج٣، ص٤١٨.

(٣) ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (-٢٧٣هـ/٨٨٧م)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت، حديث (١٩٩)، ج١، ص٧٢.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلَا تُخْرِجَنَّ سِرَّكَ إِلَى أَحَدٍ).

الشرح: قال أَبُو حاتم بن حبان[1]: من حصن بالكتمان سره تم له تدبيره وكان له الظفر بما يريد والسلامة من العيب والضرر وإن أخطأه التمكن والظفر والحازم يجعل سره في وعاء ويكتمه عن كل مستودع فإن اضطره الأمر وغلبه أودعه العاقل الناصح له لأن السر أمانة وإفشاؤه خيانة والقلب له وعاؤه فمن الأوعية مَا يضيق بما يودع ومنها ما يتسع لما استودع.

وعن المدائني قال: "كان يقال: أصبر الناس الذي لا يُفشِي سرّه إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شيء فيفشيه".

وينسب للماوردي أنه قال: وكم من إظهار سرّ أراق دم صاحبه ومنع من نيل مطالبه، ولو كتمه كان من سطوته ءامنًا وفي عواقبه سالِمًا ولنجاح حوائجه راجيًا".

تحذير: إنّ الإنسان الذي اطلع على سرّ مسلم وكان في إفشائه لحوق ضرر فأفشاه حرُم ذلك لإلحاقه الضرر بالمسلم ولما قد يجرّ من الفساد والإيذاء، وربما أدّى إلى إراقة الدماء وحصول المفسدة بين الناس وما يتبع ذلك من الخراب، فليتق الله امرؤٌ عرف سرّ أخيه من صديقٍ وصاحبٍ، وليكتمه عليه، ولا يعمل على إشاعته وإذاعته لئلا يكون سببًا في هلاكه.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلَا تَثِقَنَّ بِصُحْبَةِ أَحَدٍ حَتّى تَمْتَحِنَهُ).

الشرح: إنّ أبا حنيفة رضي الله رأس أئمة أهل الرأي في زمانه وعالمٌ كبيرٌ بالأصول وبمناسبة هذا نقول إنّ هذه النصيحة هي من المطلق المقيّد وبيان ذلك سيأتي.

ففي شرح هذه النصيحة لنا وجهان:

---

(١) محمد بن حبان بن أحمد التميمي (-٣٥٤هـ/٩٦٥م)، **روضة العقلاء**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ص١٨٩.

أمّا الأول: فإنّ الإنسان قد يصحب في حياته من عرف منه الخير ومن لم يَخْبُرهُ بعد. وكلام الإمام رضي الله عنه لا يُحمَلُ على الأول أي من قد سبق لك معرفة به وخَبَرْت حاله من تقوى وصلاحٍ والتزامٍ، بل يُنَزَّلُ على الثاني، وهو من لم تَخْبُرهُ بعد، ولهذه النصيحة حكم وفوائد منها:

- أنه سيصير هذا الإنسان مستودع أسرارك.
- أنّه ستدخله بيتك.
- أنه سيجالس أهلك.
- أنه سيصير خليلك.

فتخيّل معي لو ظهر لك منه فيما بعد خبث، أو بعد ذلك تبيّنت فسقه ومكره وخداعه فلات ساعة مندم، فلا سرّك يبقى سرًّا ولا عوراتك تبقى محفوظةً في الغالب، هذا إن لم تتغيّر أنت بصحبة هذا الإنسان، فالمرء على دين خليله؛ أي سيرته وعادته.

وهنا تنبيه: احذر أيها المطالع من أن تفهم كلام الإمام على غير وجهه، فليس المراد أن تسيء الظنّ بالمسلمين وتضمر العداوة لمن لا تعرف منهم بدليل أنه سيقول فيما بعد: "وأظهِرِ التودُّدَ إلى الناسِ ما استطعت، وأفْشِ السلامَ، ولو على قومٍ لئامٍ".

والوجه الثاني: أن كلام الإمام محمولٌ على الأكمل والأحسن لا الحرمة وعدم الجواز، فيكون حينئذٍ هذا الكلام كما ورد في الحديث: «**لَا تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ**»[1].

فكما لا يفهم من الحديث تحريم صحبة غير المؤمن، وإنما الأحسن والأولى والأكمل أن تصاحب المؤمن الصالح كذلك يحمل كلام الإمام على الاختبار قبل الاختيار.

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢٣٩٥)، ج٤، ص١٧٨.

فاختبر وتحقّق وسل قبل الإقدام على اختيار الصديق فإنّك إن أجدت في اختيارك تكون اتخذت لنفسك كنزًا وإلا فقد تكون عاقبتك وخيمة، فاختيار الصحبة سيف ذو حدين.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلَا تُخَادِمْ خَسِيْسًا، وَلَا وَضِيْعًا).

الشرح: يدخل هذا في علاقة العالم بغيره واتصاله مع الناس والخلطة بهم، فبعد أن أجمل الإمام كلامه في معاونة الغير، والإحسان إليهم، وتفريج كربهم، والتلطف بهم، وإغاثتهم، ومتابعة أخبارهم واحوالهم، بدا الإمام بالتفصيل في كيفية التعامل مع أصناف الناس لما في ذلك من المحافظة على هدف تلميذه يوسف وهو نشر الدين وجمع الناس على الطاعة والخير، والكلام في هذه النصيحة على الخدم.

فقسم الإمام الخدم على قسمين: خدم خسيس وضيع، وخدم متواضع مترفع عن الخسة والوضاعة.

وحذّر رضي الله عنه من الخادم الخسيس فقال: «**لَا تُخَادِمْ**»؛ أي لا تتخذه خادمًا، وليس مراد الإمام بذلك التكبر عليهم وعدم الإحسان إليهم، الإمام قد أمر بالإحسان إلى الغير وإن كان ظالِمًا، وما كلام الإمام رضي الله عنه إلا من باب درء المفاسد وتوقي المهالك والبعد عن المتاعب، فإنّ الخادم الخسيس الشأن الوضيع القدر الذي عن التُّقَى بعيدٌ، ومن الفسق قريبٌ، لا يُؤْتَمَنُ على بيتٍ ولا منزلٍ ولا مالٍ ولا أهلٍ ولا عوراتٍ، فكيف ستطمئنّ على أهلك إن خلا بهم، وكيف ستأمن على نفسك من غدره، بل قد يقتلك، فالذي لا يخاف الله خفْ منه واحذره، فلذلك يتأكّد على من يريد أن يستخدم إنسانًا أن يبحث عن الدَّيِّن الأمين الذي يخاف الله.

وهاك يا من أراد استقدام عامل لخدمته بعض الأحكام والآداب العامة.

حسن المعاملة: وذلك من خلال التعامل بأدبٍ ولُطفٍ والتزام الأخلاق الحسنة التي يأمر بها الشرع، والقدوة التامة في كل ذلك رسول الله ﷺ فإنّ أنسًا رضي الله عنه يقول: «**خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت**».

– **إعطاؤه أجرته كاملة**: أي حسب ما تمّ الاتفاق عليه، قال ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ**»[1].

– **رحمتهم والشفقة عليهم**: فمهمٌّ التجاوز عن زلّاتهم والعفو عن هفواتهم، ﴿**وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤].

– **الحرص على تعليم أحكام دينهم وءاداب الشريعة**: خاصّةً أمر العقيدة والتوحيد، وبيان الشرك وخطره، ومن ذلك الحرص على تعويدهم التزام الأحكام الشرعيّة كالصلاة والصيام والتزام الخادمة بالحجاب الشرعي.

عدم تكليفهم ما لا يطيقون: قال ﷺ: «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»[2].

ولا يجوز إيذائهم بالضرب والسب والإهانة بل ينبغي أن يبالغ الإنسان بالإحسان إليهم وبرحمتهم. الأمر مع الخدم مبني على الرحمة والإحسان والصبر عليهم وعدم التقصير في إعطائهم حقوقهم وفي إرشادهم ونصحهم.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٢٢٢٧)، ج٣، ص٨٢.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٢٥٤٥)، ج٣، ص١٤٩.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلَا تَقُوْلَنَّ مِنَ الْكَلَامِ مَا يُنْكَرُ عَلَيْكَ فِيْ ظَاهِرِهِ).

الشرح: نصيحة تنبئ عن فهمٍ عميقٍ ودراسةٍ كبيرةٍ من إمامٍ جليلٍ، قد خبَرَ الناسَ والتعاملَ معهم، ودرى مفاتيح الدخول إلى قلوبهم، ووعى كلام الأكابر في هذا المقام.

فليعلم أنّ الدعوة إلى الله من قوامها الحكمة والموعظة الحسنة، ومن الحكمة معرفة ما يُلقي على من يُلقى، والداعية الحكيم لا يقول كل ما يعرف لكل من يعرف، وهو يتعامل مع العقول بحسب مقدرتها لا بحسب مقدرته، ولا يحملها فوق طاقتها.

وقد فهم ابن عباس رضي الله عنهما قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، فقال: كونوا حلماء وفقهاء. وقال البخاري[١]: «الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره».

والبدء بصغار العلم مرجعه مراعاة العقول لئلا ينفر البعض قال الحافظ ابن حجر: "والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله وبكباره مادق منها".

وقال علي رضي الله عنه: «حَدّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[٢].

وأخرج مسلم عن ابن مسعود أنه قال: «**مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً**»[٣].

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، ج١، ص٢٤.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (١٢٧)، ج١، ص٣٧.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٥)، ج١، ص١١.

وللفقيه الغزالي كلام نفيس في بعض كتبه[1] جوهره وفحواه مراعاة الناس وفهمهم لئلا ينفضّوا من حولك أيها الداعي، فقد قال رحمه الله "كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار".

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَإِيَّاكَ وَالِانْبِسَاطِ إِلَى السُّفَهَاءِ).

الشرح: لفهم هذه الوصية على وجهها نقدم أولًا تعريف السفاهة.

فالسفه والسفاهة: الاضطراب في الرأي والفكر والأخلاق، فاضطراب الرأي جهلٌ وطيشٌ، واضطراب الأخلاق فسادٌ فيها لعدم رسوخ ملكة الأخلاق.

وإنّ الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه يربّي مريده ويحذّره من ان يفسد خُلُقُه ويتغيّر حاله بالقرب والانبساط والإكثار من تتبع ومجالسة أهل الأخلاق الرديئة، ولا يريد بهذا القول أن تُجَافِيَهم ولا أن تترك مجالستهم لتترك فيهم الأثر الطيب أو أن لا تنصحهم إن وجدت قبولًا، فهو نفسه قد قال قبل ذلك: «**وَدَارِ الْفُجَّارَ**»، وقد تقدّم الكلام على ذلك.

نعم، هي فائدة عظيمة من الإمام، فلنتصوّر معًا إنسانًا اتخذ سفيهًا صديقًا فكيف سيكون حاله؟ ولقد قيل قديمًا: الصاحب ساحب، إمّا إلى جنة أو إلى نار.

فيوم القيامة يعضّ من اختار صاحب السوء أصابع الندم ويتحسّر على ما فاته في دنياه. يقول تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي**

---

(١) أبو حامد الغزالي محمد بن محمد الطوسي (-٥٠٥هـ/١١١١م)، **إحياء علوم الدين**، بيروت، دار المعرفة، د.ط، د.ت، ج١، ص٥٧.

﴿لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ [الفرقان].

فصاحب السوء كثيرًا ما تعلّق أحد صفاته بجليسه كما جاء في الصحيح[1] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**».

وليكن ليس المراد مما سبق أن نعتزل مجالس الفساق والسفهاء فلا نغشاها لتعليمهم، أليس النبي ﷺ كان يدعو الكفار؟. وأخطر ما في ذلك أن يصاحب الإنسان سفيهًا مع عقيدة فاسدة كالمجسمة والمشبهة أو الحلولية الاتحادية أو من كان من أهل البدع والأهواء. وليحذر الأبناء والشباب من قرناء السوء، وأن لا يصاحبوا إلا من كان ينفعهم في دينهم أو دنياهم ممن يوثق بدينه وأخلاقه.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلَا تُجِيْبَنَّ دَعْوَةً وَلَا تَقْبَلَنَّ هَدِيَّةً).

الشرح: أرشد الإمام رضي الله عنه تلميذه إلى بعض الأحكام الفقهية المتعلّقة بالقضاة والولاة ليستفيد منها إذا صار قاضيًا ويعمل بها ولا يغفل عنها.

فإنّ مما يذكر في كتب الفقه في أحكام القضاة أنّ دعوة القاضي على قسمين: دعوة عامّة وأخرى خاصّة.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٢١٠١)، ج٣، ص٦٣.

فالقاضي يجيب الدعوة إذا كانت عامةً للجماعة، فإن النبي ﷺ كان يقضي بين الناس ويجيب الدعوة، عن أنس رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يجيب دعوة المملوك[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**»[٢].

فالدعوة إن كانت عامة لا يكون المقصود منها القاضي.

وإن كانت الدعوة خاصة – وهي التي لا يتخذها صاحبها لولا حضور القاضي- فلا يجيب لأنّ المقصود هو القاضي.

وبالنسبة لقبوله الهدية حال كونه قاضيًا تفصيل يذكره الفقهاء في باب الأقضية نذكر بعضه اختصارًا: إن كان الْمُهدي له خصومة عند القاضي فلا يقبل القاضي هديته، وإن لم يكن كذلك فإمّا أن لا يكون له عادة بالإهداء قبل أن يصير الْمُهدَى إليه قاضيًا وإمّا أن يكون له عادة بذلك. فإن لم يكن له عادة فلا يقبلها. وإن كان له عادة فإمّا أن يهديه على عادته أو أزيد، فإن كان أزيد من عادته فلا يقبلها وإن كان على عادته له أن يقبلها.

وليس كلام الإمام على إطلاقه لكلّ أحدٍ، كيف هذا وقد حثّ النبي ﷺ على الهدية، ففي الحديث «**تَهَادَوْا تَحَابُّوْا**»[٣]. وكان رسول الله ﷺ إذا أتي بطعام سأل عنه: «**أَهَدِيّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ**»؟

---

(١) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث (٢٢٩٦)، ج٢، ص٧٧٠.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٥١٧٨)، ج٧، ص٢٥.

(٣) البيهقي، **شعب الإيمان**، ج١١، ص٣٠١.

فإن قيل: صدقة، قال لأصحابه «**كُلُوْا**» ولم يأكل، وإن قيل هدية ضرب بيده ﷺ فأكل معهم[1].

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَعَلَيْكَ بِالْمُدَارَاةِ وَالصَّبْرِ وَالِاحْتِمَالِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَسَعَةِ الصَّدْرِ).

الشرح: أوصاه رضي الله عنه بخمس خصالٍ محمودة، وكان يكفيه أن يأمره بحسن الخلق، إذ لو اقتصر عليها لدخلت الخصال الأربع فيها، فالمداراة والصبر والاحتمال وسعة الصدر من حسن لخلق، زد على ذلك أنّ الصبر والاحتمال متقاربان، وسعة الصدر ملزوم الصبر، إلا أنّه لما رأى أهميتها فصّلها وعدّدها.

أخي المسلم، إنّ مكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين بها تنال الدرجات وترفع المقامات، وقد مدح الله نبيه محمدًا ﷺ في القرآن، فقال: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤**﴾ [القلم].

وقد حثّ النبي ﷺ على حسن الخلق والتمسك به، وجمع بين التقوى وحسن الخلق فقال عند ما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة: «**تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»[2].

ومن معاني حسن الخلق: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكفّ الأذى عن الناس، هذا مع ما يلازم المسلم من كلامٍ حسنٍ، ومداراةٍ للغضب، واحتمال الأذى.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٢٥٧٦)، ج٣، ص١٥٥.

(٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢٠٠٤)، ج٣، ص٤٣١.

وقد أوصى النبي ﷺ أبا ذرٍ بوصية عظيمة فقال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ، وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟**» قال: بلى يا رسول الله، قَالَ: «**عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ**»(١).

وعدّ النبي ﷺ حُسن الخلق من كمال الإيمان فقال ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(٢).

وقد ضمن وكفل النبي ﷺ لمن حسّن خلقه بيتًا في أعلى الجنة فقال: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**»(٣).

والتوجيهات النبوية في الحثّ على حسن الخلق واحتمال الأذى كثيرةٌ معروفةٌ، وسيرته ﷺ مثالٌ يُحْتَذَى به الخلق مع زوجاته وجيرانه ومع ضعفاء المسلمين ومع جهلتهم، بل وحتى الكفار.

جعلنا الله وإياكم ممن قال فيهم الرسول ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا**»(٤).

---

(١) البيهقي، **شعب الإيمان**، ج٧، ص٢٠.

(٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث (٤٦٨٢)، ج٤، ص٢٢٠.

(٣) أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث (٤٨٠٠)، ج٤، ص٢٥٣.

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٣٧٥٩)، ج٥، ص٢٨

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَاسْتَجِدَّ ثِيَابَكَ).

الشرح: أي اطلب جيد الثياب لكسوتك؛ لأنّ جمال الثياب يزيد في الهيبة، وهذا من آداب العالم في درسه.

قال صاحب "المعيد في أدب المفيد والمستفيد[١]" في ءاداب العالم في درسه: "وأن ينظف ويطيب بدنه وثوبه، ويختار له لبس البياض، ولا يعتني بفاخر الثياب، ولا يقتصر على خلق ينتسب صاحبه إلى قلة مروءة".

وهذا ليس بغريب عن العلماء، فقد مر عبر التاريخ أئمة قدوة لنا ينبغي التأسي بهم. فهذا الإمام مالك بن أنس كان إذا جاءه الناس لطلب الحديث اغتسل وتطيّب ولبس ثيابًا جددًا، وقال: "أُحِبُّ أنْ أُعظِّمَ حديث رسول الله ﷺ".

قال الدمياطي في شرحه على الأربعين: "ومجيء جبريل في تلك الهيئة الحسنة يدلّ على استحباب التجمّل للقادم على الكبراء ولطالب العلم ومعلّمه؛ لأنّه سيد الكبراء من الإنس والجنّ والملائكة معلّمًا للصحابة في صورة متعلم".

وقال الحافظ ابن دقيق العيد[٢]: "وفيه دليل على تحسين الثياب والهيئة والنظافة عند الدخول على العلماء والفضلاء والملوك فإن جبريل أتى معلما للناس بحاله ومقاله".

---

(١) العلموي عبد الباسط بن موسى بن محمد (-٩٨١هـ/١٣٥٢م)، **المعيد في أدب المفيد والمستفيد**، تحقيق مروان العطية، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص١٢٣.

(٢) ابن دقيق العيد أبو الفتح محمد بن علي بن وهب (-٧٠٢هـ/١٥٣٨م)، **شرح الأربعين النووية**، بيروت، مؤسسة الريان، ط٦، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢٩.

قال ابن حجر في "شرح الأربعين"[1]: ففيه ندب تنظيف الثياب، وتحسين الهيئة بإزالة ما يؤخذ للفطرة، -أي الخلقة- وتطييب الرائحة عند الدخول للمسجد، وعلى نحو العلماء، وندب ذلك للعلماء والمتعلِّمين؛ لأنه معلِّمٌ؛ بدليل: «**يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ**»، ومتعلِّمٌ بمقاله وحاله، ومن ثَمَّ استحبَّ عمر رضي الله عنه البياض للقارئ، واستحبه بعض أئمتنا لدخول المسجد.

هذا وقد كان ﷺ أحسن الناس وجهًا وأطيب الناس ريحًا كأنّ ثيابه لا يمسّها دنس.

فهاتان فائدتان عظيمتان الأولى في لباس العالم والثانية في لباس المتعلّم، والفائدة الثالثة أن تصدّر جميع أمورك الحسنة باسم الله وتجتهد أن لا تدخل في شيء من العادات الحسنة إلا بنيةٍ صالحةٍ، فإذا لبست ثيابك فانوِ بها ستر عورتك التي أمرك الله بسترها، وابتدئ باليمنى في نحو القميص وأخِّرها في النزع. وليكن همك إذا لبست ثوبًا جديدًا إظهار نعمة الله عليك وكرمه وفضله، وإياك وحال أهل الكبر والبطر، واحذر مشيئة الخيلاء مشية المتكبرين. وإذا لبست فاعمل بحديث رسول الله ﷺ «**وَمَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**»[2].

---

(١) ابن حجر الهيتمي شهاب الدين شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (-٩٧٤هـ/١٥٦٧م)، **الفتح المبين بشرح الأربعين**، جدة، دار المنهاج، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص١٤٢.

(٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث (٤٠٢٣)، ج٤، ص٤٢.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَأَكْثِرِ اسْتِعْمَالَ الطِّيْبِ).

الشرح: أوصاه رضي الله عنه بذلك لما أودعته هذه الخصلة من الأمور الحسنة، فالرائحة الطيبة غذاء الروح، والرائحة الطيبة تفرح القلب وتُسِرُّ النفس وتقوي الدماغ والعقل. قال الشافعي: أربعة تقوي البدن، وعدَّ منها شَمَّ الطيب.

فلما كانت هذه مما تساعد على إقبال الناس عليه وطول صحبتهم له وعشرتهم له وهو مدعاة إلى تلقي العلم منه وانتشار الخير وكثرة مجالس العلم حثّه أبو حنيفة على ذلك.

فما أعظمها من وصيّة، كيف لا وهي مأخوذة من فعله ﷺ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يحبّ الطيب ويكثر من التطيب، فقد روى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[1]؛ أي جُعِل فيّ الميل الطبيعي لذلك من غير تعلّق قلب وانشغال وتَتَبُّع لذلك.

وكان ﷺ يأخذ من قارورة المسك فيمسح على لحيته ورأسه، وكان إذا أهدي طيبًا قَبِله ولم يَرُدَّهُ، فعن أنس أن النبي ﷺ كان لا يردّ طيبًا. ويقول: ما شممت شيئًا قطّ مسكًا ولا عنبرًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ.

ونختم بهذه الفائدة فنقول: ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ**»[2].

---

(١) البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (-٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، **السنن الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٧، ص١٢٤.

(٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢٧٨٧)، ج٤، ص٤٠٤.

فعملًا بهذا الحديث الشريف نوجّه نصيحة إلى الأخوات المسلمات فنقول لهنّ تطيّبن لأزواجكن في بيوتكن ولا تتعطّرن وتخرجن فإنّ ذلك قد يكون سببًا للفتنة وفرصة ينتهزها الشيطان، فقد جاء في الحديث: «**الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ**»، أي أغلبها عورة «**فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»[1]، أي اهتمّ الشيطان لخروجها ليفتن بها الرجال.

وفي الحديث «**لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلَاتٍ**»[2]؛ أي غير متطيبات، وبثياب بذلة وهي الثياب الغير فاخرة كالتي تلبس في البيت أي من غير زينة.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَقَرِّبْ مَجْلِسَكَ، وَلْيَكُنْ ذَلِكَ فِيْ أَوْقَاتٍ مَعْلُوْمَةٍ).

الشرح: قد جمع الإمام رضي الله عنه في هذه العبارة بين نصيحتين تكادان تنفصلان ولا تنفكان عن بعضهما، وبيان الحضّ على ذلك سيأتي.

أمّا النصيحة الأولى والتي عبّر عنها بقوله: «**قَرِّبْ مَجْلِسَكَ**»، فإنما نبّه على هذا الأمر لأجل قطف الثمرة، أي لما كان من البغيات والمرادات التي يريد الشيخ حصولها وتحققها الفهم السليم والإدراك الصحيح، والدراية التامة والوعي الآمن، والمعرفة المتقنة، والفقه الصائب والاستيعاب المأمون، حثّ وشجّع وحضّ على تبكير وقت إعطاء الدرس وذلك لكون الأفهام لا زالت في اتقاد، والأذهان قوية في صفاء، والقلوب في استعداد تامّ، والنفوس في تهيُّؤٍ، فيسهل حينئذٍ على

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (١١٧٣)، ج٢، ص٤٦٧.

(٢) ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (-٣٥٤هـ/٩٦٥م)، **صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج٥، ص٥٨٩.

الطالب الفهم والوعي والحفظ، ولا سيّما إن كان الدرس فيه تشعبات وذلك عملًا بقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**»[1].

قال النووي في "التبيان"[2]: وينبغي أن يبكر بقراءته على الشيخ أول النهار لحديث النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**».

وبعد هذا نقول: لما أكّد الإمام مسألة التبكير نبَّهَ لمسألة ثانية ذات صلة بالأولى كما بيّنّا، وهي أن تكون تدريسه في أوقات يعلمها الناس بأن يحافظ على الوقت الذي عهده الناس منه مثلًا، فإن كثرة تغيير أوقات الدرس قد يجعل الناس في خُلَّيْطى فيضيع المجلس وحينئذٍ لن تتحقق النصيحة الأولى، وذلك إذا لم يحضر الناس فما المعنى حينئذٍ من تقريبه.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ خَلْوَةً ترمُّ بِهَا حَوَائِجَكَ).

الشرح: نصيحة جليلة فحواها الخلوة ومحاسبة النفس، انظر إلى قول الله تعالى: ﴿**وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨**﴾ [المزمل]، أي انقطع إليه بالعبادة.

وانظر إلى قصة بدء الوحي مع النبي ﷺ التي جاء فيها: فكان ﷺ يخلو بغار حراء، فيتحنّث فيه وكان يتزوّد لمثل هذه الليالي.

قال أبو جمرة في شرحه على مختصر البخاري: "في الحديث دليل على أن الخلوة عون للإنسان على تعبده وصلاح دينه.

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (١٢١٢)، ج٢، ص٥٠٨.

(٢) النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (-٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، **التبيان**، محمد الحجار، بيروت، دار ابن حزم، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٥١.

واعلم أيها القارئ أنّ الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، والعزلة لمن شغل وقته بالخير عبادة، والتفكر في المخلوق والتدبر في المخلوقات للاستدلال به على ملكوت الله طاعة. وقد أوصى الإمام تلميذه الآخر أبا يوسف القاضي «**وَدَاوِمْ عَلَى التِّلَاوَةِ**».

فاجعل لنفسك خلوة، وقتًا تتقرّب فيه بالطاعة والتدبّر في قراءة آيات كتابه الكريم، ووقتًا تتقوّى فيه على الدنيا وهمومها، ووقتًا في التفكّر في أحوالك وحال قلبك.

فاجعل وقتًا خاصًّا في يومك تعمره بصلاة وقيام بخشوع ورجاء، ووقتًا تكسب لنفسك سكونًا وهدوءًا.

وههنا ملاحظة مهمة يحسن الإشارة إليها، وهي أن شرط الخلوة أن لا يترك المختلي واجبًا بسببها، وأن لا يضيع مصلحة على الدعوة والمسلمين، فيقدّم مصلحة الدعوة ونشر العلم والعقيدة ومكافحة الضلالات وأهلها كالمشبهة والمجسمة والحلولية الاتحادية على الخلوة، وكذا قضاء حوائج المسلمين ومصالح أهل الضرورات، ثم أليس ورد في الحديث «**الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»[1].

وعليه تحمل هذه القصة وهي أن واحدًا من الدعاة استأذن شيخنا رضي الله عنه في الخلوة ليشتغل بالأذكار والأوراد والعبادة فقال له رضي الله عنه: «أنت خلوتك بين الناس».

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢٥٠٧)، ج٤، ص٢٤٣.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَابْحَثْ عَنْ أَخْبَارِ حَشَمِكَ، وَتَقَدَّمْ فِيْ تَقْوِيْمِهِمْ، وَتَأْدِيْبِهِمْ).

الشرح: فهمٌ عميقٌ من إمامٍ عظيمٍ، وهذا شيء مما تدلُّ عليه هذه الوصية.

فبينما أوصاه بإكرام أهل الشرف وتعظيم أهل العلم وتوقير الشيوخ وملاطفة الأحداث ومداراة الفجار نبّهه إلى أمر خوفًا من الغفلة عنه، فذكره أن لا ينسى أهله وحشمه.

أخي المسلم، صِلْ رحمك وأوصل ما أمكنك من الخير إليهم، وادفع ما أمكنك من الشرّ عنهم، وزرهم، وسل عنهم، وأهدهم، وتصدّق على فقيرهم، وعد مرضاهم، واتبع جنائزهم، واستضفهم، وشاركهم في أفراحهم، وارحم صغيرهم، ووقّر كبيرهم، واعرف الحق لعلمائهم وشيوخهم، وغير ذلك مما من شأنه أن يزيد ويقوي من أواصر العلاقات بينك وبينهم.

قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء].

وكان من شمائله ﷺ أنه يتفقّد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس[1].

وجميل تفقد المؤمنين بعضهم بعضًا، الأمر الذي يجعلهم جميعًا كالجسد الواحد كما ورد في الحديث: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[2].

---

(١) البيهقي، **شعب الإيمان**، ج٣، ص٢٤.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٥٨٦)، ج٤، ص١٩٩٩.

فمن يتفقد أحوال الناس يزداد في الغالب في قلوبهم محبة وتوقيرًا. وتفقد أحوال الحشم والأقارب يفتح بابًا واسعًا لجمع الحسنات، فإنه يعني عيادة المريض، والإحسان إلى المحتاج، والتفريج عن المكروب، وغير ذلك من أعمال البر والفلاح.

وقد كان من هديه ﷺ السؤال عمن غاب من أصحابه، يومًا افتقد المرأة التي كانت تقُمُّ المسجد أي كانت تجمع قمامته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد – أو شابًّا – ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها – أو عنه – فقالوا: مات، قال: «**أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي**»، قال: فكأنهم صغّروا أمرها – أو أمره – فقال: «**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ**» فدلوه، فصلّى عليها[1].

وغياب هذا الخلق عن كثير من الناس يُشعر الواحد منهم غالبًا بالغربة بين أقرب الناس إليه ومَن هم مِن أحبهم عنده.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَاسْتَعْمِلْ فِيْ ذَلِكَ الرِّفْقَ).

الشرح: أمر رضي الله عنه بالرفق ووصّى به، فما هو الرفق ولمَ قد يوصي الإمام به في المعاملة؟ وما هي ثمرته؟ وإلامَ يوصل؟

أولًا: الرفق هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل والدفع بالأخفّ. وقيل: هو اللطف وحسن التصرف.

وإن رُمت معرفة فوائده وثمراته وما الحامل عليه فاسمع معي لقول الغزالي في بيان الرفق. قال الغزالي: الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين ينتجهما حسن الخلق والسلامة، والرفق ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٩٥٦)، ج٢، ص٦٥٩.

بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حدّ الاعتدال ولذلك أثنى المصطفى ﷺ على الرفق وبالغ فيه. يقول النبي ﷺ: «**فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ**»(١).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»(٢)، ومعنى الحديث أنّ الله لطيفٌ بعباده، عالمٌ بمواضع حاجاتهم يقبل التوبة.

وخاطب مرّة سفيان الثوري أصحابه قائلًا: أتدرون ما الرفق؟ هو أن تضع الأمور مواضعها، الشدّة في موضعها واللين في موضعه.

فالرفق صفةٌ كريمةٌ وخلقٌ جميلٌ، فيه سلامة العرض وراحة الجسد، خلقٌ من أشهر ثمار حسن الخلق، يقول فيه النبي ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(٣).

ومن كان الرفق خلقه فإنّه يتوصّل به إلى كثير من الخيرات والفوائد وتحقيق المصالح الدينية والدنيوية، ويدخل بذلك إلى قلوب الناس، فيتوصّل إلى تعليمهم الخير وإبعادهم عن الشرّ والفساد.

جعلنا الله من المتخلّقين بها على ما ينبغي، من المقتدين برسول الله ﷺ قولًا وفعلًا وعقدًا وخلقًا وعشرةً ومعاملةً، إنّه على ما يشاء قديرٌ، وبعباده لطيفٌ خبيرٌ.

---

(١) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث (٤٣)، ج١، ص١٦.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٦٩٢٧)، ج٩، ص١٦. مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢١٦٥)، ج٤، ص١٧٠٦.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٥٩٤)، ج٤، ص٢٠٠٤.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (ولا تُكْثِرِ العَتَبَ فيهُونَ العذْلُ).

الشرح: هذا من علاقة العالم بغيره. العتاب هو المؤاخذة والعذل هو اللوم. والعتاب من أنواع الحوار بين الأخلاء، هذا إن وقع الموقع وكان بالزمان والمكان المناسبين، وإلا فقد ينشأ من ذلك أمور لا تحمد عقباها. لذلك ندعو إلى التوسط في العتاب. قال الماوردي: إنّ كثرة العتاب تكون سببًا للقطيعة، واطِّراحُ[1] جميعه دليلٌ على قلّة الاكتراث بأمر الصديق، وقد قيل: علة المعاداة قلّة المبالاة، والمطلوب أن تتوسّط الحال بين العتاب وتركه فيسامح بالمتاركة ويستصلح بالمعاتبة؛ لأنّ المسامحة والاستصلاح إذا اجتمعا لم يلبث معها نفورٌ ولم يبق معهما وجد. ويروى عن سيدنا علي رضي الله عنه «لا تكثر العتاب؛ فإنّ العتاب يورث الضغينة والبِغْضَة».

ومن فوائد المعاتبة:

- تُزيلُ صدأ البغض والكراهية من القلوب.
- تزيد المحبة والألفة.
- تذهب نزغ الشيطان وساوسه.
- تنقي النفوس وتطهرها من ظنون الإثم.

وهنا نكتة لطيفة: ليس من شرط العتاب وقوع معصية من زميل أو صديق أو أخ أو أهل، بل قد تكون لأنهم تركوا الأحسن والأفضل والأولى به، وفرق بين التانيب والعتاب، فيقال عتابٌ لطيفٌ كما في قصة نزول: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ①﴾ [عبس]، ولا يقال أنّب الله رسوله ﷺ، بل كل ذلك منه ﷺ ترك للأَولى.

---

(١) أي ترك.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلَا تلِ تَأْدِيْبَهُمْ بِنَفْسِكَ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِمَائِكَ وَأَهْيَبُ لَكَ).

الشرح: تحمل هذه الوصية ضمن طَيّاتها كلامًا جليلًا عن الهيبة والوقار؛ إذ في هذه الوصية العظيمة لتلميذه لم يقتصر الإمام فقط على الفتاوى بل فيها ما فيها من تهذيب النفس وتهذيب الغير، ولما كان لذلك ءاداب بيّنها الإمام جملة وهذه منها.

ليعلم أنّ هناك وسائل تحمل على التحلّي بالهيبة والوقار، منها:

-**السكينة:** فإنها تثمر الخشوع وتجلب الطمأنينة وتلبس صاحبها ثوب الوقار.

-**أتباع ءاثار الأنبياء والصالحين الذين تحلوا بالوقار:** فعن عبد الله بن عباس أنّ النبي ﷺ قال: «**الهدي الصالح، والسمت الصالح، والاقتصاد، جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة**»[1]. أي هذه من الصفات الحسنة التي يتصف بها النبي.

-**البعد عن الغضب:** فالغضب لا في محلّه ينافي الوقار والهيبة، فقد ذكر الطبري في تاريخه عن طاهر بن حسين أنه أوصى ابنه عبد الله فقال: واملك نفسك عن الغضب، وأكثر الوقار والحلم، وإياك والحدة والطيش والغرور.

-**التزام الصمت وقلة الكلام إلا فيما يعني:** فالصمت في محله زين الحلم، يلبسك ثوب الوقار.

-**الحياء الممدوح:** قال القرطبي: إنّ من الحياء ما يحمل صاحبه على الوقار بأن يوقّر غيره ويتوقّر هو في نفسه.

---

(١) أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث (٤٧٧٦)، ج٤، ص٢٤٧.

-**الصدق:** فإنّ من عُرِف بالصدق صار الناس له أتباعًا، فصدق اللهجة عنوان الوقار.

-**تعظيم الحرمات:** وبالنسبة للمفتي والعالم المربي ينصح الإمام أبو حنيفة أن لا يباشر المربّي دائمًا في كل الأحوال وفي جميع الأوقات وعند كلّ الزلات والأخطاءِ التربية بنفسه بل قد يترك في المريدين رقيبًا فهِمًا يخاف الله، داريًا وعارفًا ينوب عنه.

وليس المراد أن لا يباشر تأديبهم ألبتة، كيف هذا والمريد يتعلّم من حال الشيخ ومن فعله ومن مقاله. فحيث يحصل التأديب بغيره لا يتولّاه بنفسه، وحيث لا تتحقق المصلحة ولا تحصل الفائدة المرجوّة إلا بأن يصرّح هو أو يصرخ بقدر الحاجة، وهذا له تأثير بالغٌ في نفوس الطلاب ومن يريد تأديبهم، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة والسيرة النبوية أنه ﷺ طان يكتفي بالتلميح أو بالإشارة لمن يريد نصحهم، أو يرسل لمن يريد نصحه من يكلمه، وحيث يتعين التصريح فإنه كان يصرّح بنفسه.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَحَافِظْ عَلَى صَلَوَاتِكَ).

الشرح: أمره رضي الله عنه ناصحًا له بإقام الصلاة والمحافظة والمداومة عليها فإنها عمود الدين وعماد الشريعة، وإنما يحافظ عليها من يعرف قدرها ويرجو أجرها ويخاف العقاب على تركها.

قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ٢٣٨﴾ [البقرة].

وقد وصف الله المؤمنين في سورة المؤمنون بأوصاف عظيمة فقال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ وقال أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ٩﴾ [المؤمنون].

واسمع يا أخي إلى بعض ما ورد في عظيم شأن الصلاة، فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**»[1].

ويكفيك قول النبي ﷺ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[2].

فالصلاة أمرها عظيم في الدين ولها فضائل عظيمة منها:

- أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ**﴾ [العنكبوت/٤٥].

- أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله لحديث عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أيّ العمل أفضل؟ قال: «**الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا**»[3].

- تغسل الخطايا لحديث أبي هريرة رضي الله عنه «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟**» قالوا: لا يُبقِي من درنه شيئًا، قال: «**فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا**»[4].

- أنها نور لصاحبها ففي مسلم: «**وَالصَّلَاةُ نُوْرٌ**»[5].

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٤٨٨)، ج١، ص٣٥٣.

(٢) الحاكم، **المستدرك**، ج٢، ص١٧٤.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٧٥٣٤)، ج٩، ص١٥٦.

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٥٢٨)، ج١، ص١١٢.

(٥) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٢٣)، ج١، ص٢٠٣.

فالحذر فالحذر من تركها مطلقًا أو التكاسل في أدائها فإنّ هذه ليست صفة المؤمن الكامل التقي.

واسمع لبعض ما ورد في وعيد تاركها: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»[1]. معناه هو مسلم فاسق ملعون عرّض نفسه لسخط الله، ويخشى عليه من سوء الخاتمة، لا أنه كافر مجرّد لتركها وهو يعتقد وجوبها.

وقال ﷺ «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا؟ كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**»[2].

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَابْذُلْ طَعَامَكَ، فَإِنَّهُ مَا سَادَ بَخِيْلٌ قَطُّ).

الشرح: لما كان إطعام الطعام من الصفات الكريمة التي ندب إليها ديننا الحنيف، أحبّ الإمام أن يلفت انتباه تلميذه يوسف إلى هذه المكرمة فنصحه قائلًا «وَابْذُلْ طَعَامَكَ، فَإِنَّهُ مَا سَادَ بَخِيْلٌ قَطُّ». فأمر بالجود الذي هو كثرة العطاء من غير سؤال للناس والتعفف عما لديهم.

والأمر بإطعام الطعام أمر الله تعالى بذلك في آيات منها قوله تعالى: ﴿**وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾**﴾ [الحج]. وقوله في السورة نفسها: ﴿**وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ**﴾ [الحج].

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٨٢)، ج١، ص٨٨.

(٢) أحمد، **مسند أحمد**، ج١، ص١٤١.

ومن هدي النبي ﷺ أنه كان يأمر أصحابه بذلك، وانظر أيها القارئ بإمعانٍ إلى قصة ضيف رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة[١] رضي الله عنه، أن رجلًا أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا**»، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**ضحك الله الليلة، أو عجب، من فعالكما**» فأنزل الله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩**﴾ [الحشر].

تنبيه: «ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية والمراد بهما الرضا بصنيعهما»؛ أي لا يجوز نسبة الضحك والتعجب على الحقيقة لله.

فلو سألتني ما هي فضائل إطعام الطعام؟ أقول لك هو من خير الأعمال، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلًا سأل النبي ﷺ: أيّ[٢] الإسلام خير؟ قال: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[٣].

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٣٧٩٨)، ج٥، ص٣٤.

(٢) أي خصائل الإسلام، أي هذا من أفضل وخير خصائل الإسلام، وإلا فالإسلام كله خير.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (١٢)، ج١، ص١٢.

وفي سنن الترمذي قول رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَغُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هِيَ لِمَنْ أَطَابَ الكَلاَمَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»[1].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علِّمْني عملًا يدخلني الجنة، فقال: «**أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ**» ثم قال: «**فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَأَطْعِمِ الجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ**»[2].

وإطعام الطعام كان معروفًا في الجاهلية، فقي صحيح مسلم عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ فقال ﷺ: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»[3].

فائدة: قد اعتبر رسول الله ﷺ عمل ابن جدعان من التصدّق على المحتاجين وصلة الرحم وغير ذلك غير نافع له لأنّه لم يكن يؤمن بالله؛ إذ شرط قبول الأعمال الصالحة الإيمان بالله ورسوله.

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢٥٢٧)، ج٤، ص٢٥٤.

(٢) الحاكم، **المستدرك**، ج٢، ص٢٣٦.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٢١٤)، ج١، ص١٩٦.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلْيَكُنْ لَكَ بِطَانَةٌ تُعَرِّفُكَ أَخْبَارَ النَّاسِ، وَمَتَى عَرَفْتَ بِصَلَاحٍ فَازْدَدْ رَغْبَةً وَعِنَايَةً فِيْ ذَلِكَ).

الشرح: يجدّد الإمام الكلام في علاقة العالم بغيره، فيرشده إلى اتخاذ البطانة الصالحة، ومعنى بطانة الرجل: أهله وأقربائه أي خاصته وأصحاب سره ومشورته.

قال الحميدي: «بطانة الملك: خواصّه وأولياؤه الذين يشاورهم ويأخذ بآرائهم ويشاركهم في سرّه».

وهذه البطانة تكون صالحة إذا حضّت على الخير وأعانت عليه، وأما إذا أمرت بشرٍّ وأعانت عليه فهي بطانة سوء، وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه بابًا وهو بطانة الإمام وأهل مشورته، أسند فيه حديث أبي سعيدٍ الخدري عن النبي ﷺ «**مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إِلَّا لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ**»(١).

وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة بطانة السوء، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨** ﴾ [آل عمران].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ**»(٢).

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٦٦١١)، ج٨، ص١٢٥.

(٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث (٢٩٣٢)، ج٣، ص١٣١.

فالبطانة الصالحة تعرّفك أخطاءك وأخطاء الرعية ولا تجامل في الحقّ، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي لَا تَقُولُ لِلظَّالِمِ: أَنْتَ ظَالِمٌ، فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ**»[١]، أي رفع الله معونته عنهم وتركهم بلا بصر.

وعن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا**»[٢].

ونقل الحافظ ابن حجر في "الفتح"[٣] عن ابن التين قوله: «أنه ينبغي للحاكم أن يتخذ من يستكشف له أحوال الناس في السر وليكن ثقة مأمونًا فطنًا عاقلًا».

فهنيئًا لمن وجد لنفسه بطانةً صالحةً تخوّفه من الله، وتذكّره الآخرة، وتحثّه على الخير، ولا تساعده على تنفيذ رغبات نفسه مما يخالف الحق.

فيا سعد من وُفِّق لهذا الخير العظيم بأن يكون محفوظًا محاطًا ببطانة الخير والصلاح.

---

(١) البيهقي، **السنن الكبرى**، ج٦، ص١٥٨.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٢٤٩٣)، ج٣، ص١٣٩.

(٣) العسقلاني، **فتح الباري**، ج١٣، ص١٩٠.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَاعْمَدْ فِيْ زِيَارَةِ مَنْ يَزُوْرُكَ وَمَنْ لَا يَزُوْرُكَ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، أَوْ أَسَاءَ).

الشرح: أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان لذوي القربى وهم الأرحام الذين يجب وصلهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل].

كما أنّه سبحانه عظّم قدر ذلك فقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء/٠١].

ووردت أحاديث كثيرة فيها الأمر بصلة الرحم فعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال النبي ﷺ: «**تَعْبُدُ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٢).

وصلة الرحم في سنة النبي ﷺ أمرٌ واجبٌ، وقاطعها ءاثمٌ فعن عائشة رضي الله عنها قالت «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**»(٣)، وما أسوأ حالٍ من قطعه الله فمن ذا يصله.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (١٣٩٦)، ج٢، ص١٠٤.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٢٠٦٧)، ج٣، ص٥٦.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٥٥٥)، ج٤، ص١٩٨١.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»[١].

ومن أفضل الصدقات الصدقة على ذي رحمٍ وهم أولى الناس بالصدقة، فعن سلمان بن عامر الضبي قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**»[٢].

فبعد هذا يتبيّن أنّ قول البعض: نحن نزور من يزورنا ونقطع من يقطعنا مفهومٌ خاطئٌ مخالفٌ لهدي النبي ﷺ، فقد قال ﷺ لعقبة رضي الله عنه: «**يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**»[٣].

ومما ينبغي التنبُّه له زيارة الأحبة والإخوة في الله من غير الأرحام أيضًا، فهذه الزيارات بنيةٍ حسنةٍ تقوّي الألفة بين المسلمين، واجتماع الأحبّة وتزاورهم غنيمةٌ عظيمةٌ، فلا ينبغي ترك هذه الزيارة لما فيها من النفع العظيم والخير العميم، فيذكر بعضهم بعضًا بالعمل للآخرة ويحثّ بعضهم بعضًا على تحصيل العلم والعمل به.

---

(١) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث (٤٢١١)، ج٢، ص١٤٠٨.

(٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٦٥٨)، ج٢، ص٤٠.

(٣) البيهقي، **شعب الإيمان**، ج١٠، ص٤١٧.

عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربّه يقول: «**حَقَّتْ**[1] **مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**»[2]؛ أي ظلّ عرشه .

ولا تنس أن تعمل في هذه الزيارات على جمع المسلمين والتأليف بين قلوبهم وإياك أن تعقد مجالسَ الغيبة والنميمة أو المسامرة في ذكر عورات وعيوب وزلات المسلمين.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَخُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ).

الشرح: قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف].

ذكّره الإمام رضي الله عنه بهذه الفضيلة لِمَا حوته من حسن الخلق في التعامل مع الناس، وقد بيّنت الآية الكريمة أنه ينبغي في معاملتهم مراعاة ما يلي:

- أخذ العفو، وهو ما سمحت به أنفسهم من الأخلاق، فيشكر من قابله من المسلمين، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغضّ طرفه عن نقصهم، ويعامل الجميع بالطف وما فيه مصلحة.

- الأمر بالمعروف، اجعل ما يأتي إلى الناس منك إمّا تعليم علم، أو إصلاح بين الناس، أو معاونة على برٍّ وتقوى أو زجرٍ عن قبيح.

ولقد كانت حياة الرسول ﷺ مليئةً بالعفو والصفح، ومن الأمثلة على ذلك أنه عفا عن كفار قريش يوم فتح مكة مع قدرته على الانتقام وقد ءاذوه.

ومشى على خطاه ﷺ الصحابة الأعلام، فعن الزهري قال: سمعت عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن حديث عائشة زوج النبي

(١) أي ثبتت.

(٢) مر تخريجه. انظر ص٧١.

ﷺ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرّأها الله مما قالوا، كلٌّ حدثني طائفةً من الحديث فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ ﴾ [النور]، العشر الآيات كلّها في براءتي، فقال أبو بكر الصديق، وكان ينفق على مسطح لقرابته منه: والله لا أنفق على مِسْطَحٍ شيئًا أبدًا، بعد الذي قال لعائشة. فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [النور]، قال أبو بكر: بلى والله إني لأحبّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها عنه أبدًا.

فإذا التزم الإنسان بهذه النصيحة كسب مودّة الناس وحبهم فأقبلوا عليه متعلمين من حاله وقاله، فكان في ذلك نشر لعلم الدين.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَتَغَافَلْ عَمَّا لَا يَعْنِيْكَ).

الشرح: قوام هذه النصيحة وعمادها قوله ﷺ «**مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكَهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ**»(1)، فهذا الحديث من الكلام الجامع لمعانٍ كثيرة جليلة بألفاظ قليلة.

فقد أرشدنا النبي ﷺ إلى الطريق الذي يبلغ به العبد كمال دينه وحسن إسلامه وصلاح عمله فبيّن ﷺ أنّ مما يزيد المرء حسنًا في دينه أن يدع ما لا يعنيه وأن لا يتدخّل في شؤون غيره. ففي قوله ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكَهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ**» توجيه للأمة بالاشتغال بما ينفعها ويقرّبها من طاعة ربها كما قال النبي ﷺ «**وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»، فأرشد ﷺ إلى اغتنام الأوقات بالخيرات، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، وعمر الدنيا قصير، فهو كظلّ شجرة

---

(1) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث (٣٩٧٦)، ج٢، ص١٣١٥.

يوشك أن يذهب سريعًا، لذا فالإنسان العاقل الذي جعل الآخرة همّه والجنو مأربه يغتنم أوقاته كلها.

ومن الأمور التي يشملها ترك فضول الكلام، وقد امتدح الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون]. فمن صان لسانه عن فضول القول سَلِم من انزلاقه فيما لا يحبّه الله ويرضاه، لذلك حثّ الشرع على لزوم الصمت إلا بما فيه ذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وروى ابن ماجه عن النبي ﷺ أنّه قال: «**كَلَامُ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[١].

وعن الحسن قال: «من علامة إعراض الله عن العبد[٢] أن يجعل شغله فيما لا يعنيه».

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَاتْرُكْ كُلَّ مَنْ يُؤْذِيْكَ).

الشرح: هذه النصيحة هي لازم نصيحة مرّت قبل ألا وهي «وَخُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ»، وسنبين معنى حقيقة هذه النصيحة لئلا تفهم على غير وجهها ويحسن هنا أن نعيد الحديث الذي فيه: «**الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»[٣]. وعلى هذا يحمل كلام الإمام، فليس مراده أن انقطع عن الناس ولا تكلم أحدًا منهم، بل أراد بـ«وَاتْرُكْ كُلَّ مَنْ يُؤْذِيْكَ» الصفح والعفو والتحمل ومبادلة الإساءة بالإحسان.

---

(١) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث (٢٦٦٤)، ج٤، ص٢٠٥٢.

(٢) أي حرمانه الخير ومنعه الثواب، فلا يوصف الله بصفة من صفات خلقه.

(٣) مرّ تخريجه. انظر ص٨٩.

وفي محنته رضي الله عنه درس كبير، ففي قصته مع المنصور يتجلّى لك معنى «وَاتْرُكْ كُلَّ مَنْ يُؤْذِيْكَ»، فقد دعا المنصور أبا حنيفة ليتولّى القضاء فامتنع رضي الله عنه لعلمه بأنّ هناك من أهل عصره من هو أهل لذلك المنصب، وأنّه لم يتعيّن عليه تولّي القضاء، فأنزل به العذاب بالضرب والحبس. وهذا درس كبير في الصبر.

وهذا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه كان ذات يوم يمشي مع جمع من مريديه، فعلم بذلك يهودي كان يسمع أن أحمد الرفاعي حليم، فأراد أن يمتحنه هل هو كما يصفه الناس أم لا، فأتى إليه وقال: يا سيد أنت أفضل أم الكلب؟ وكان بقربه كلب أجرب، فقال السيد رضي الله عنه: إن نجوت على الصراط فأنا أفضل، فاسلم اليهودي، وأسلم أهله وكثير من عشيرته، فلولا تواضع سيدنا أحمد معه لم يسلم، فلو كان ظهر الغضب أو الاكفهرار على وجهه أو قال له كلمة شتمٍ ما رغب في الإسلام، لكن لما أعجبه شدة حلمه وتواضعه اعترف اليهودي في نفسه بأن دين هذا السيد صحيحٌ وأسلم.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَبَادِرْ فِيْ إِقَامَةِ الْحُقُوْقِ).

الشرح: وصية جليلة فحواها القيام بالقسط والدعوة إلى العدل، فالعدل من حيث المفهوم هو إعطاء كل ذي حقٍ حقّه، والبعد عن الظلم والبغي والعدوان.

وقد ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَنِ السَّابِقُونَ إِلَى ظِلِّ اللهِ**[1] **عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الْحَقَّ قَبِلُوهُ وَإِذَا سُئِلُوهُ بَذَلُوهُ، وَحُكْمُهُمْ لِلنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِم**»[2].

---

(١) أي ظلّ عرشه لأنّ الله منزّه عن الجسمية وصفاتها.

(٢) البيهقي، **شعب الإيمان**، ج١٣، ص٤٦٦.

في هذا الحديث موعظة وضياء للمتقين، فهو وعدٌ من الله لمن رضي بالحق أخذًا عاملًا به مطبَّقًا ذلك على نفسه وعلى غيره قولًا وفعلًا، وحكم للناس بمثل ما يحكم هو لنفسه أو بمثل ما يحبّ أن يحكم هو له به، ويعطي كل ذي حقٍّ حقّه كائنًا من كان قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ [المائدة]، فأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوّامين بالقسط أي بالعدل فلا يعدلوا عنه يمينًا ولا شمالًا. ولقد كان رسول الله ﷺ على خُلُقٍ عظيمٍ متخلّقًا بما جاء به القرآن الكريم من الصفات الكريمة من العدل والأمانة والوفاء والصدق والكرم والعفو والنصح والتواضع، فلا تجد صفةً من صفات الخير إلا ونبينا محمدًا ﷺ قد تبوّأ القمة فيها.

وهنا نزيد الأمر بيانًا فنقول: كلّ من له أدنى إلمام بالعلم يعرف أنّ الدعوة إلى حقوق الله شأنها عظيمٌ، وهي مهمة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والتسليم، وهم الأئمة في الدعوة وهي وظيفتهم؛ لأنّ الله بعثهم دعاةً للحقّ وهداةً للخلق، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف]، فالدعوة إلى الله هي سبيل الرسل وطريقهم، وفي ذلك غاية الشرف والفضل للدعاة أتباع الرسل، ومن شرط ذلك أن يكون الداعية على بصيرة وعلم وبينة بما يدعو إليه ومما يحذّر منه لئلا يضر الناس. قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ۝١٢٥﴾ [النحل]، فادع أيها القارئ إلى الله بآياته وسنة رسوله لما فيها من الحكمة والفقه والهدى والبيان والإيضاح، وليكن الداعي ذا حكمةٍ وذا موعظةٍ حسنةٍ.

ومما صحّ في السنة عن رسول الله ﷺ في شأن الدعوة وفضلها قوله ﷺ لما بعث عليًا رضي الله عنه: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[1].

فبعد هذا الغيض من الفيض ينبغي أن تخرج أيها القارئ الكريم بنتيجة وخلاصة فيها نجاتك في الدنيا والآخرة. والله المستعان.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَمَنْ مَرِضَ مِنْ إِخْوَانِكَ فَعُدْهُ بِنَفْسِكَ، وَتَعَاهَدْهُ بِرُسُلِكَ).

الشرح: ليعلم أن عيادة المريض وزيارته من الآداب الرفيعة التي حثّ الإسلام المسلمين عليها وجعلها من أولى حقوق المسلم على أخيه المسلم، وهذه العيادة تذكر المريض بأقوى رابطٍ بين المسلمين وهو الأخوة في الإسلام، فيكون ذلك سببًا في تخفيف ءالامه وأحزانه.

وقد ورد في الأثر عن سيد البشر ﷺ أنه قال: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**» قيل: ما هنّ يا رسول الله؟، قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»[2].

ولأهمية هذا الخلق الطيب جُعِل لزيارة المريض فضلٌ وثوابٌ كبيرٌ كما جُعِلتْ له ءادابٌ جميلٌ الالتزامُ بها.

أوّلًا: فضل وثواب عيادة المريض:

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٣٧٠١)، ج٥، ص١٨.

(٢) مرّ تخريجه. انظر ص٧٢.

١. **ثواب الملك الغفار**: فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟**»[١].

٢. **نزول الرحمة**: فعن مروان ابن أبي داود قال: أتيت أنس بن مالك فقلت: يا أبا حمزة إن المكان بعيد ونحن يعجبنا أن نعودك، فرفع رأسه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا، فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ**»، قال: قلت: يا رسول الله، هذا للصحيح الذي يعود المريض، فالمريض ما له؟ قال: «**تُحَطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ**»[٢].

٣. **السعادة والنعيم**: فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا**»[٣].

ثانيًا: آداب عيادة المريض:

لقد ذكر الحافظ ابن حجر ءاداب عيادة المريض فقال: «في العيادة أن لا يطيل العائد عند المريض حتى يُضجره وأن لا يتكلم عنده بما يزعجه».

---

(١) هذا الحديث مؤوّلٌ لا يُحمَلُ على ظاهره؛ لأنّ الله سبحانه منزّه عن الصحة والمرض، إذ هما من صفات الخلق. قال النووي في شرحه: قال العلماء: «إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى والمراد العبد تشريفًا للعبد وتقريبًا له، قالوا: ومعنى «وَجَدْتَنِي عِنْدَهُ» أي وجدت ثوابي وكرامتي». مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٥٦٩)، ج٤، ص١٩٩٠.

(٢) أحمد، **مسند أحمد**، ج٢١، ص٢٥٠.

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢٠٠٨)، ج٣، ص٤٣٣.

وجملةُ آداب العيادة عشرة أشياء ومنها ما لا يختص بالعيادة:

١) أن لا يقابل الباب عند الاستئذان، وأن يدقّ الباب برفق وأن لا يُبْهِم نفسه كأن يقول: "أنا".

٢) وأن لا يحضر في وقتٍ غير لائقٍ بالعيادة كوقت شرب المريض الدواء.

٣) وأن يخفف الجلوس.

٤) وأن يغض البصر.

٥) ويقلل السؤال.

٦) وأن يظهر الرقة.

٧) وأن يخلص الدعاء.

٨) وأن يوسع للمريض في الأمل.

٩) وأن يشير عليه بالصبر لما فيه من جزيل الأجر.

١٠) وأن يحذره من الجزع لما فيه من الوزر.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَمَنْ غَابَ مِنْهُمْ فتَفَقَّدْ أَحْوَالَهُ. وَمَنْ قَعَدَ مِنْهُمْ عَنْكَ فَلَا تَقْعُدْ أَنْتَ عَنْهُ).

الشرح: يكمل الإمام في بيان أهمية التواصل مع الغير، فبعد أن ذكر عيادة المريض أتبع ذلك بالكلام على تفقد أحواله، وهذه التفاتٌ مهمةٌ.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ [المائدة]، ويقول النبي ﷺ «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[1].

هذه الأدلّة وغيرها من الكتاب والسنة تدعونا إلى العناية والاهتمام بإخواننا المسلمين أفرادًا وجماعات في كل بقاع الأرض، وتفقد أحوالهم ومعرفة واقعهم وتحسس ءالامهم ومعرفة مطالبهم ثم العمل على مساعدتهم كلٌّ بحسب استطاعته.

وهاك أيها القارئ بعض النصائح مؤيّدة بما ورد من هديه ﷺ وسيرته.

إذا لا حظت على أصحابك بعض التأخر عن بعض الطاعات المندوبة فوجِّهْهم إليها بأسلوب جميل مناسب، فقد روى أبو سعيد أنّ رسول الله ﷺ رأى في أصحابه تأخّرًا فقال لهم: «**تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ**»[2].

أمّا نبينا ﷺ فقد ضرب مثالًا رائعًا في تفقد الرعية ومتابعة المتبوعين، فقد كان بأبي هو وأمي يتفقد أصحابه ويتابعهم في مشكلاتهم، ويتابعهم في الجهاد في سبيل الله، ويقف في مُؤخِرة الجيش ليحمل الضعيف، ويعين المكلوم-المصاب بالجروح- ويتابعهم في أحزانهم وأفراحهم، ويتفقدهم، ويعودهم، ويسأل عنهم، ويرسل إليهم.

ويقول زيد بن أبي أوفى، قال: دخلت على رسول الله ﷺ في مسجد المدينة، فقال: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟ أَيْنَ فُلَانٌ؟**» فجعل ينظر في وجوه أصحابه يتفقدهم ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده، فحمد الله واثنى عليه فآخى بينهم.

---

(١) مر تخريجه. انظر ص٩٠.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٤٣٨)، ج١، ص٣٢٥.

والأمثلة على ذلك كثيرة، فينبغي للواحد منا الاقتداء بهؤلاء الأكابر في هذه الخصال الحسنة، ولذا ذكرها الإمام في وصيته لما رأى من أهميتها.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَصِلْ مَنْ جَفَاكَ).

الشرح: إن مما يحزن الإنسان العاقل في هذه الأيام كثرة الجفاء بين الإخوان والأصحاب، فتجد بعضهم يجفو إخوانه وأقرانه، يغفلون أن التآلف والتآخي في الله هو من ثمرة حسن الخلق، وأنّ الجفاء صفةٌ ذميمةٌ ومظهرٌ من مظاهر سوء الخلق.

وقد وردت النصوص القرآنية بذمّ الجفاء والتنفير منه. قال تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ١٥٩﴾** [آل عمران]، وقال سبحانه: **﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٤٣﴾** [الأنعام].

وأيضًا جاء النهي عن الجفاء على لسان خير الورى، فقد قال ﷺ «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ**(١) **إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»(٢).

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**»(٣).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ مَأْلَفَةٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ**»(١).

---

(١) أي من كمال ذلك.

(٢) مرّ تخريجه. انظر ص٥٨.

(٣) أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث (٤٩١١)، ج٤، ص٢٧٨.

والجفاء والغلظة صفتان غير محببتين في الشرع، فينبغي للمؤمن أن يتخلّى عن العنف والقسوة والعبوس وسوء المعاملة، وأن يتحلّى بالرفق والرحمة والبر. قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝**﴾ [الشمس].

فلنتخلّق بأخلاق الكُمَّل؛ فالمؤمن المتواضع هيّن ليّن، منقاد للحق، يألف ويؤلف، بخلاف الجافي الغليظ الذي لا يألف ولا يؤلف.

وقد قال ﷺ: «**الْإِيمَانُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ، وَغِلَظُ الْقُلُوبِ وَالْجَفَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ فِي أَهْلِ الْمَشْرِقِ**»[2]؛ أي في جهة نجد.

فهنيئًا لمن ترك الجفاء واقتدى بسيد الأصفياء محمد ﷺ، وبسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام/ وبالأولياء رضوان الله تعالى عليهم، ففي متابعتهم الخير والفلاح، وفي ترك ذلك الخيبة والحسرة والندامة.

---

(١) أحمد، **مسند أحمد**، ج١٠، ص٤٠٠.

(٢) أحمد، **مسند أحمد**، ج٢٢، ص٤٢٢.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَأَكْرِمْ مَنْ أَتَاكَ).

الشرح: إنّ إكرام الضيف من مكارم الأخلاق وجميل الخصال التي تحلّى بها الأنبياء وحثّ عليها المرسلون واتّصف بها الأجواد كرامُ النفوس.

وقد حثّنا نبينا محمد ﷺ على إكرام الضيف، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»[١]؛ أي أنّ هذا من كمال الإيمان.

وعن أبي شريح خويلد بن عمرو قال: سمعت أذناي، وأبصرت عيناي، حين تكلم النبي ﷺ فقال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**» قال: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ**»[٢].

وعن أبي هريرة [٣] رضي الله عنه، أن رجلًا أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا**» فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيّئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيّأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونوّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا**».

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٦٠١٩)، ج٨، ص١١.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٦٠١٩)، ج٨، ص١١.

(٣) مرّ تخريجه. انظر ص٩٨.

فانظر إلى هذا الكرم كيف رفع منزلة أهل هذا البيت بل حتى إنهم نزل بهم قرآن، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

تنبيه: قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري: «ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية والمراد بهما الرضا بصنيعهما»، أي لا يجوز نسبة الضحك والتعجب على الحقيقة لله.

وعنه أنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم – أو ليلة – فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قالا: الجوع يا رسول الله،، قال: «**وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**»، فقاموا معه، فأتى رجلًا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة، قالت: مرحبًا وأهلًا، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني، قال: فانطلق، فجاءهم بعِذقٍ فيه بسرٌ وتمرٌ ورطبٌ، فقال: كلوا من هذه، وأخذ الْمُدْيَةَ، فقال له رسول الله ﷺ: «**إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ**» فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا(١).

ولقد كان رسول الله ﷺ أكرم الناس لضيوفه وأجودهم وأسخاهم، ومن بحور سنته تعلّمنا الرُقي. رزقنا الله حسن الاقتداء به، ءامين.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٢٠٣٨)، ج٣، ص١٦٠٩.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَاعْفُ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ).

الشرح: العفو هو التغاضي عن الإساءة وترك الانتقام.

وللعفو مكانةٌ عظيمةٌ يصل إليها من جاهد نفسه وكظم غيظه وخالف هواه. قال تعالى: **﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾** [الأعراف].

وأخرج الإمام أحمد عن عقبة بن عامر قال: لقيتُ رسول الله ﷺ فقال لي: «**يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**»[١].

والعفو خُلُقٌ من خلق الأنبياء والمرسلين، فهذا يوسف عليه الصلاة والسلام فِعلُ إخوته وَرَدَ في القرءان، ولما مكّن الله ليوسف في الأرض وجاؤوا إليه يعتذرون، هل انتقم منهم أم قابلهم بالعفو والصفح والمعروف والإحسان؟ **﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾** [يوسف].

ونبينا محمد ﷺ قد عفا الرسول عمن أوغلوا في أذيته حتى بعد قدرته عليهم، فلما جاءه جبريل مع ملك الجبال وقال له: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني الله إليك لتأمرني بأمرك،، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[٢] فقال له العطوف الكريم ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ**

---

(١) مرّ تخريجه. انظر ص١٠٣.

(٢) أي جبلي مكة.

شَيْئًا»[1]. وكذا فعل عليه الصلاة والسلام مع كفار مكة يوم فتحها حتى قال قولته الشهيرة: «**اِذْهَبُوْا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءَ**»[2].

وهؤلاء الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين ربّاهم النبي ﷺ وغرس خلق العفو والتسامح في نفوسهم وإن قوبلوا بالصدّ والإعراض والقطيعة فكانوا مثالًا يُحتذى به في العفو والصفح عمن أساء.

وقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولًا كانوا أو شبّانًا»، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: «فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر»، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿**خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ**۝١٩٩﴾ [الأعراف]، وإن هذا من الجاهلين، «والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافًا عند كتاب الله»[3].

وهذا أبو ذرّ رضي الله عنه يقول لغلامه: لم أرسلت الشاة على علف الفرس؟ قال: أردت أن أغيظك، قال: لأجمعنّ مع الغيظ أجرًا، أنت حرٌّ لوجه الله.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٣٢٣١)، ج٤، ص١١٥.

(٢) البيهقي، **السنن الكبرى**، ج٩، ص١٩٩.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٤٦٤٢)، ج٦، ص٦٠.

ولما سبّ رجلٌ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ما ردّ عليه ولا أجابه، بل قال رضي الله عنه لمولاه عكرمة: هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكّس الرجل رأسه واستحيا.

بالعفو يُنال الأجر والثواب إن أخلصت، قال الله تعالى: ﴿**وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠**﴾ [الشورى].

فيا إخوتي وأخواتي في الله، تعافوا بينكم وتجاوزوا عمن أساء إليكم، واجعلوا العفو والصفح شِعاركَم وخُلُقًا في بيوتكم وشوارعكم وأسواقكم، واخرجوا من ضيق المناقشة إلى فُسحة المسامحة، ومن مشقّة المعاشرة إلى سهولة المعاشرة، واطووا بساط التقاطع والوحشة، وصلوا حبل الأخوة واقبلوا العذر والمعذرة فإنّه من محاسن الشيم.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَمَنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمْ بالقبيحِ فِيْكَ فَتَكَلَّمْ فِيْهِ بِالحَسَنِ الجَمِيْلِ).

الشرح: إنّ هذه الأخلاق الحميدة تعلّمها المسلمون عبر تاريخهم المشرق من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، قال تعالى: ﴿**ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦**﴾ [المؤمنون].

كما أن رسولنا محمدًا بيّن من هو المفلس يوم القيامة وما حاله حيث قال: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟**» قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال رسول اللهِ ﷺ: «**الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاَتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا**

مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١).

للإحسان إلى الآخرين أثرٌ عظيمٌ، فقد ذكر الحافظ ابن حجر في "الإصابة"(٢) أنّ فضالة بن عمير مرّ بالنبي ﷺ يوم الفتح وهو عازم على الفتك به، فقال له: «**مَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟**» قال: لا شيء، كنت أذكر اللّه تعالى، فضحك رسول اللّه ﷺ، وقال: «**أَسْتَغْفِرُ اللّهَ لَكَ**»(٣)، ثم وضع يده على صدره، قال: فكان فضالة يقول: واللّه ما رفع يده عن صدري حتى ما أجد على ظهر الأرض أحبّ إليّ منه.

وأسلم فضالة بهذا الصفح الكريم وزالت من قلبه عداوة النبي –وهو اعتقاد كفري– وحلّت محلّها محبة رسول الله ﷺ وهي من الإيمان.

تأمّل أخي القارئ هذا الموقف النبوي الكريم، كيف قابل النبي ﷺ رغبة القتل والعدوان من فضالة بالابتسامة الصادقة والمعاملة الكريمة والدعاء بالهداية والمغفرة، فبدخوله بالاسلام يغفر له، فشرح الله صدره للايمان، قال تعالى: ﴿**وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣**﴾ [الفرقان].

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٥٨١)، ج٤، ص١٩٩٧.

(٢) العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (-٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٥، ص٢٨٥.

(٣) معناه أطلب من الله تعالى أن يغفر لك بإدخالك في الإسلام لأن قتل النبي كفر. فمعناه بعد تشهدك الله يغفر لك.

أخي القارئ ما هو موقعك مع من يخالفك بل من يعاديك و يتربص بك؟ هل هو المعاملة بالمثل او بخلاف ذلك؟ بيان ذلك في قول ربنا: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ [فصلت].

فالدفع بالحسنى إحدى صور الإحسان الذي من شأنه أن يقضي على العداوات بين الناس ويبدلها صداقة حمية ومودة رحيمة فتحمد نار الفتن.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم، كأنه ولي حميم.

فالكلمة الطيبة تفتح قلوبًا غلفى وتزيل الغشاوة عنها، وتصفي النفوس والتسامح والعفو والنصح تقوّي المودة بين الناس.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَمَنْ مَاتَ قَضَيْتَ لَهُ حَقَّهُ).

الشرح: ليعلم أنّ السعي في قضاء حوائج الناس من الأخلاق الإسلامية العالية الرفيعة، وهي من باب التعاون على البرّ والتقوى الذي أمرنا الله به، فقال في محكم تنزيله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة].

وإنّ قضاء الحوائج واصطناع المعروف باب واسع، فليعن الواحد أخاه على البرّ، وهو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة من حقوق الله وحقوق الآدميين، فهذا يشمل النفع بالعلم والنفع بالرأي السديد والنفع بالمشورة وبقضاء الدين.

ومن نعم الله تعالى على العبد أن يجعله مفتاحًا للخير والإحسان، فعن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال: «**عِنْدَ اللهِ خَزَائِنُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، مَفَاتِيحُهَا الرِّجَالُ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، وَمِغْلَاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، وَمِغْلَاقًا لِلْخَيْرِ**»[١].

وقد أفضنا الكلام على إغاثة وإعانة المسلمين، ونقتصر على ذلك في هذا المقام. نحبّ أن ننبّه لأمرين.

أمّا الأول: فهو أنّ الإمام أبا حنيفة لم يُرد بقضاء الحق عن الميت الصلاة، ولا يُفهم هذا من كلامه، وهاكم أيها الأحبة بيان هذه المسألة بإيضاح مع أدلتها وبراهينها:

لقد فرض الله تعالى على كل مكلّف خمس صلوات في اليوم والليلة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا** ١٠٣﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿**وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ**﴾ [البقرة]؛ أي حافظوا عليها، والأخبار النبوية في ذلك كثيرة، فمن ترك الصلاة الخمس كلها أو بعضها استحقّ العذاب يوم القيامة، ومن مات وعليه صلاة كأن تركها في الدنيا تهاونًا وكسلًا لا تبرأ ذمته ولا تسقط عنه ولا تُصلّى عنه ولا يُدفع عن تلك الصلوات مالٌ، ويدلّ على ذلك حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا، لاَ كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ**»[٢]، قال ابن حبان في صحيحه[٣] بعد أن روى هذا الحديث ما نصه: "دليل على أن الصلاة لو أداها عنه غيره لم تجز عنه، إذ المصطفى ﷺ قال: «**لاَ كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ**»، يريد إلا أن يصليها إذا ذكرها، وفيه دليل على أن الميت إذا مات وعليه صلوات لم يقدر على أدائها في

---

(١) الطبراني، **المعجم الكبير**، ج٦، ص١٥٠.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٥٩٧)، ج١، ١٢٢.

(٣) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، ج٦، ص٣٧٤.

علته لم يجز أن يعطى الفقراء عن تلك الصلوات الحنطة، ولا غيرها من سائر الأطعمة والأموال على هيئة ما يسمى كفارة صلاة أو إسقاط صلاة".

وأما ما في مسلم: «**إِنَّ مِنَ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ لِأَبَوَيْكَ مَعَ صَلَاتِكَ**»، المراد بالصلاة الدعاء. بدليل ما رواه النسائي عن ابن عباس في سننه: «**لَا يُصَلِّي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَلَا يَصُومُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ**»[1].

وقال بدر الدين العيني في شرحه لهذا الأثر: وعند الحنفية: لا يصلي أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد.

وأمّا الثاني: فهو أمر قضاء الصلاة المتروكة عمدًا: فإنّ مما ابتليت به هذه الأمة أناسًا ادّعوا أنّ الصلاة المتروكة عمدًا لا يجب قضاؤها. وممن قال بهذا ابن تيمية فزاد ضلالًا على ضلالته.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فَرْحَةٌ هَنَّيْتَهُ بِهَا).

الشرح: يصرّح الإمام بوصيّةٍ توطِّد علاقة العالم بغيره، ما إن التزم بها إلا شدّت عرى المحبة وأواصر الألفة بين المسلمين، وهي من جملة مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات.

فهذه خصلة يغفل عنها كثيرٌ من الناس، إنها صفة يفتقدها الكثير من أهل المجتمع.

فالتهنئة فيما رخص الشرع جائزةٌ وفيها مشاركة بالتبريك والدعاء من المسلم لأخيه المسلم فيما يسره ويفرحه مما يدعو إلى التوادّ والتراحم والتعاطف بين المسلمين.

وقد جاء في القرآن تهنئة المؤمنين على ما ينالون من نعيم الجنة وذلك في قوله تعالى: ﴿**كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩**﴾ [الطور].

---

(١) النسائي، **السنن الكبرى**، حديث (٢٩٣٠)، ج٣، ص٢٥٧.

والأصل في التهنئة تجدد نعمة أو رفع بلاء مما يدخل السرور على النفوس، فهي مما يفرح المهنَّأ ويدلّ على سجيَّة المهنّئ. وانظر إلى ما جرى في حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه قال: وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلّى صلاة الفجر، فذهب الناسُ يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إليّ رجل فرسًا، وسعى ساع من أسلم، فأوفى على الجبل، وكان الصوتُ أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبي، فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فيتلقاني الناس فوجًا فوجًا، يهنوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ، قال: رسول الله ﷺ، وهو يبرق وجهه من السرور: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**»[1].

وهذا ردٌّ على بعض مشايخ الوهابية مبتدعةِ هذا العصر الذين حرّموا التهنئة بيوم الجمعة وبطلب الدعاء فيه والإكثار من الصلاة على النبي ﷺ.

فهذا الحديث أصلٌ في التهنئة لما يطرأ على المسلم من نعمة أو يرفع عنه من بلاء.

فمن المناسبات هذه تهنئة المسلم:

١. عند عرسه، فعن أنس رضي الله عنه أن عبد الرحمن بن عوف تزوّج امرأة على وزن نواة من ذهب، فقال له الرسول ﷺ: «**بَارَكَ اللَّهُ لَكَ أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[2].

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٤٤١٨)، ج٦، ص٣.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٥١٥٥)، ج٧، ص٢١.

٢. عند ما يرزق بمولود، قال النووي: يستحبّ تهنئة المولود له، قال أصحابنا: ويستحبّ أن يهنّأ بما جاء عن الحسين رضي الله عنه أنه علّم إنسانًا التهنئة، فقال: قل: بارك الله لك في الموهوب لك، وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورزقت بره.

ويستحبّ أن يردّ على المهنئ فيقول: بارك الله لك، وبارك عليك، وجزاك الله خيرًا، ورزقك الله مثله، أو أجزل الله ثوابك.

التنبيه: ننبه المسلمين لمسألة وهي أننا لا نتولّى الكفار ولا نرضى بما هم عليه من الانحرافات فلا نشاركهم في أعيادهم ولا نهنئهم بها، وكذا لا نستورد عاداتهم إلى مجتمعاتنا.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَمَنْ كَانَتْ لَهُ مُصِيْبَةٌ عَزَّيتَهُ عَنْهَا).

الشرح: ليعلم أنّ مواساة المصابين والتخفيف عن المنكوبين من صنائع المعروف التي يحبها الله تعالى، فإنّ الإنسان إذا سمع عن أخيه أنّه أصيب بمصيبة في نفسه وأهله أو ولده فليتقرّب منه وليذكّره بحسن الثواب وحسن العاقبة عند الله، لعلّ ذلك يكون سببًا في صبره، فتثبيت القلوب عند الكربات والمصائب من صنائع المعروف.

فعلّمنا النبي ﷺ الصبر على الشدائد وحبّب إلينا ثواب الصابرين تصديقًا لقول الله تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾** [البقرة].

بل علّمنا النبي ﷺ مواسيًا بأنّ الابتلاءات والأمراض كفارات للمسلم وسبب لتخفيف العذاب عن العبد المسلم يوم القيامة، فعن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ**

بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

كان النبي ﷺ يواسي من من أصيب بالمرض فيدعو له ويخفّف عنه، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**»[2].

ولا ننسى مواساة النبي ﷺ للمهموم الحزين، فعن أبي سعيد الخدري قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار، يقال له: أبو أمامة، فقال: «**يَا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟**»، قال: هموم لزمتني، وديون يا رسول الله، قال: «**أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟**»، قال: قلت: بلى، يا رسول الله، قال: «**قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ**»، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عز وجل همي، وقضى عني ديني[3].

فهذه الأمثلة التي ذكرت عن المواساة المصابين عند خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام هي غيض من فيض وقطرة من غيث وما علينا إلا أن نقتدي بالنبي ﷺ في هذا الخلق والأدب الرفيع.

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢٣٩٦)، ج٤، ص١٧٩.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٥٦٧٥)، ج٧، ص١٢١.

(٣) أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث (١٥٥٥)، ج٢، ص٩٣.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَمَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ فَتَوَجَّعْ لَهُ بِهِ).

الشرح: أيها المسلمون ما أجمل أن يواسي المسلم أخاه في بلواه ويتوجّع لعثرته وشكواه، ومن شِيَم الكرام وأهل الإسلام الكُمَّل أنهم إذا سمعوا صارخة قومٍ أو صوت استغاثة أنجدوا وأسعدوا.

فيا أهل الشفقة والإحسان والنجدة تصدّقوا، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨**﴾ [يوسف]، وواسوا إخوانكم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ**[1]**، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[2].

أيها المسلم، أخاك اكشف عنه كربًا واقض عته دينًا، فحال كثير من المسلمين اليوم ما بين فقير يستصرخ وطريدٍ يستعيث.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَمَنِ اسْتَنْهَضَكَ لِأَمْرٍ مِنْ أُمُوْرِهِ نَهَضْتَ لَه).

الشرح: يتابع الإمام حثّه على النظر في أمر الإخوان وحضّه على مساعدة المسلمين وتشجيعه على القيام بأمور المؤمنين، والسعي لقضاء حوائج الأصدقاء والأصحاب.

وهنا يبيّن الإمام أنّ من طلب منك القيام بأمرٍ قمت له وساعدته، وليكن السلف الصالح قدوةً لك في هذا.

---

(١) أي في قضاء حاجته. القسطلاني أحمد بن محمد بن أبي بكر (-٩٢٣هـ١٥١٧م)، **إرشاد الساري**، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، ط٧، ١٣٢٣هـ/١٩٠٨م، ج١٠، ص١٠٢.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٢٤٤٢)، ج٣، ص١٢٨.

فقد كان بعض السلف إذا كانت الليلة مطيرة أخذ شعلة من النار فطاف على عجائز الحي فقال: أتريدون ناراً؟ فإذا أصبح طاف على عجائز الحي فقال: ألكم في السوق حاجة؟ أتريدون شيئًا؟[١].

وكان علي بن الحسين الذي لقّب بالسجادة لكثرة سجوده وصلاته وعبادته، ينفق على مائة بيت من بيوت الفقراء في المدينة المنورة، ويحمل لهم الطعام وما يحتاجونه على ظهره مقنّعًا في الليل لئلّا يعرف، ولما مات ووضع على المغتسل ظهرت خطوط في ظهره من كثرة ما يحمل من الأمتعة والأطعمة التي يوصلها إلى بيوت الفقراء بنفسه من غير أن يستعين بأقربائه أو بالأرقاء والعبيد، ولما مات انقطعت هذه المساعدة عن أهل تلك البيوت، فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم بها. قال شعبة بن النعمان: كان علي بن الحسين يبخل، فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة.

وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما «ما رأيت امرأتين قطّ أجود من عائشة وأسماء رضي الله عنهما، وجودهما مختلف: أمّا عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسمته، وأما الأسماء فكانت لا تمسك شيئًا لغد».

وقد ورد أنّ طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه باع أرضًا له بسبعمائة ألف درهم، فبات ليلةً عنده ذلك المال، فبات أرقًا مخافة ذلك المال ثم أصبح يفرّقه.

---

(١) ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (-٥٩٧هـ/١٢٠١م)، **صفة الصفوة**، تحقيق أحمد بن علي، مصر، دار الحديث، د.ط، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٢، ص٥٦.

ويروى أنّ الإمام الشافعي رضي الله عنه لما قدم من صنعاء كان معه عشرة ءالاف دينار، فقالوا: يشتري بها ضيعة. فضرب خيمته خارج مكة، وصبّ الدنانير، فكان كلّ من دخل عليه يعطيه قبضةً، فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب، ولم يبق معه شىء.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَمَنِ اسْتَغَاثَكَ فَأَغِثْهُ).

الشرح: خطاب لمسلمي الأمة، يا أيها المسلمون إنّ الله تبارك وتعالى أمر الناس بفعل الخير ونفع الناس والسعي لمساعدة الآخرين، وإيصالُ الخير للناس من أفضل الأعمال وأحبِّها إلى الله عزّ وجلّ.

وهذا سيد الرجال اشتهر بهذه الخصلة حتى قالت أمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها: «**إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا**»[1].

إنّ إيصال الخير للغير وإعانة المحتاج من نعم الله العظيمة التي أنعم بها على عباده العقلاء.

أخي القارئ لقد أثنى الله على الساعين لفعل الخيرات ومدّ يد العون للناس لا سيّما في الضائقات. لقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣**﴾ [الأنبياء].

ويقول الله مبينًا صفات الكمل من المؤمنين أنّ من صاتهم إطعام الطعام حتى للكافر. قال تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨**﴾ [الإنسان]، والأسير هنا الكافر.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٣)، ج١، ص٧.

ولقد حثّ نبيّنا ﷺ على فعل الخير وإغاثة الملهوف وإعانة المكروب وقضاء الحوائج والسعي في تخفيف المعاناة في أحاديث كثيرة، منها ما رواه مسلم عن النبي ﷺ قال: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**»، قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: «**يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**»، قال قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ**» قال قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ**» قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «**يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ**»(١).

وفي الحديث الشريف: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ سُلَامَى**(٣) **مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ**» قال: «**تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**» قال: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»(٤).

ووعد الله تبارك وتعالى أهل الإيمان المتطوعين بالأعمال الحسنة والبرّ والمسارعين في الخير بجنة عرضها السماوات والأرض. فياله من فوز وظفر ونعمة وفضل وكرم وإحسان.

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (١٠٠٨)، ج٢، ص٦٩٩.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٥٣٥٣)، ج٧، ص٦٢.

(٣) أي كل مفصل من مفاصل الجسد.

(٤) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (١٠٠٩)، ج٢، ص٦٩٩.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَمَنِ اسْتَنْصَرَكَ فَانْصُرْهُ).

الشرح: إن النصرة في الدين من كمال الإيمان بالله العظيم وقد قال ربُّنا: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ۝١٠**﴾ [الحجرات].

وقوله ﷺ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[1].

معنى الحديث أن المسلم الكامل لا يسلم أخاه في مصيبة نزلت به ولا يتركه لمن يؤذيه بل يحول بينه وبين ذلك، وقال عليه الصلاة والسلام: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»[2]؛ أي إن كان مظلومًا فخذ بحقه، وإن كان ظالِمًا فاردعه عن ظلمه.

ثم إن النصرة معناها الإعانة، وتكون بأمور، ومن ذلك المال، فقد جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار فجعلها بين يدي النبي ﷺ وحفر للمؤمنين بئر رومة، ولذلك قال النبي ﷺ: «**مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ**»[3]. فحفرها عثمان، وجهز جيش العسرة، والنبي ﷺ لما رأى رجلًا ليس له راحلة وهو ينظر يمينًا وشمالًا، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ**»[4].

---

(١) مرّ تخريجه. انظر ص١٢٧.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٢٤٤٣)، ج٣، ص١٢٨.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٣٦٩٥)، ج٥، ص١٣.

(٤) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (١٧٢٨)، ج٣، ص١٣٥٤.

أمّا النصرة بالنفس فإنّ النبي ﷺ قام إلى بني قينقاع اليهود مع أصحابه فقاتلهم لكفرهم ولأنهم آذوا مسلمةً، ومشهورٌ في السيرة أنهم عقدوا طرف ثوبها إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا.

وهكذا لما قامت امرأة من المسلمين تستغيث وتقول وهي هاشمية وقد ءاذاها النصارى: «وا معتصماه»، فما ذا فعل ملك الروم؟ قال: دعي المعتصم: يأتي على فرس أبلق لينصرك، فقام المعتصم لما سمع بذلك منتصرًا ءامرًا عساكر المسلمين أن لا يخرجوا إلا على خيولٍ أبلق، وذهب في أربعين ألفًا يفتح البلدان إلى عمورية، فحاصرها وضربها بالمنجنيق، واستمرّ الحصار خمسةً وخمسين يومًا حتى استسلموا وسلّموا المدينة للمسلمين، فطلب المعتصم إحضار المرأة فأحضرت في قيودها، فلما وقعت عينُه عليها قام وقال: «لبيك، قد أجبتُ دعوتك في أربعين ألف بلق».

اللهم إنا نسألك أن تحيي قلوبنا بالإيمان الكامل وأن ترزقنا حبك وحب من يحبك، اللهم فرّج هموم المسلمين ونفّس كروب المستضعفين منهم وارحمهم يا رب العالمين.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَأَظْهِرِ التَّوَدُّدَ إِلَى النَّاسِ مَا اسْتَطَعْتَ).

الشرح: وسائل التودّد إلى الخلق كثيرةٌ جدًّا، وتختلف باختلاف الأشخاص والأوقات والأحوال، ولكن نُعدِّدُ بعضًا من أهمّ هذه الوسائل، فمنها:

١. حسن الخلق مع البشر فهو مفتاح قلوبهم، والباعث على مودة صاحبه، قال أبو حاتم بن حبان البستي رضي الله عنه: حسن الخلق بذر اكتساب المحبة، كما أنّ سوء الخلق بذر استجلاب البغضة ومن حسن خلقه صان عرضه، ومن ساء خلقه هتك عرضه؛ لأنّ سوء الخلق يورث الضغائن، والضغائن إذا تمكّنت في القلوب أورثت العداوة، والعداوة إذا ظهرت من غير صاحب الدين أهوت صاحبها إلى النار إلا أن يتداركه المولى بتفضل منه وعفو.

٢. التواضع وخفض الجناح وعدم التعالي والتكبر عليهم، قال أبو حاتم: ولكن من أسباب المؤاخاة التي ينبغي على المرء لزومها: مشي القصد وخفض الصوت وقلة الإعجاب ولزوم التواضع وترك الخلاف.

٣. إدخال السرور في قلوب الناس، والتبسم لهم والمزاح، ولكن لا ينبغي أن يكثر من المزاح بل يستعمله وقت الحاجة إليه للتخفيف عن إخوانه وأصحابه بما يفرحهم ويزيح الهمّ والأحزان عن قلوبهم.

٤. أن يوقّر الشيوخ والمشايخ ويرحم الصبيان، وفي الحديث قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا**(١) **مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»(٢).

٥. الهدية، وهي وسيلة ذات أثر كبير على القلوب، فقد قال ﷺ: «**تَهَادَوْا تَحَابُّوا**»(٣).

---

(١) ليس على طريقتنا الكاملة.

(٢) مر تخريجه. انظر ص٦٤.

(٣) مرّ تخريجه. انظر ص٨١.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَأَفْشِ السَّلامَ، وَلَوْ عَلَى قَوْمٍ لئامٍ).

الشرح: وصية فيها توثيق عرى المحبة بين المسلمين، وهي من علاقة العالم بغيره، ويستفاد منها الأمر بإفشاء السلام.

وأما بالنسبة لمعنى «السلام عليكم» فهو دعاء بالسلامة من الآفات في الدين والنفس. قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النور].

وقال النبي ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**» قيل: ما هن يا رسول الله؟، قال: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»(١).

وقد عدّ النبي ﷺ ردّ السلام من حقّ الطريق، قال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ**»، فقالوا: ما لنا بُدٌّ، إنما هي مجالسنا نتحدّث فيها، قال: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا**»، **قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ:** «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ**»(٢).

---

(١) مرّ تخريجه. انظر ص٧٢.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٢٤٦٥)، ج٣، ص١٣٢.

ومن ثمرات إفشاء السلام:

١. السلامة من الحقد، وسلامة الصدر، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوْا**»[١].

٢. الأجر الكبير، فقد ثبت عن سهل بن حنيف رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، فَإِنْ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً، فَإِنْ قَالَ: وَبَرَكَاتُهُ، كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَلَاثِينَ حَسَنَةً**».

٣. علوّ المسلمين، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَفْشُوا السَّلَامَ كَيْ تَعْلُوْا**». قال المناوي: «أي يرتفع شأنكم، فإنكم إذا أفشيتموه تحاببتم فاجتمعت كلمتكم فقهرتم عدوكم وعلوتم عليه.

٤. سبب للبركة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ**»[٢].

٥. سبب لدخول الجنة بسلام، فعن أبي شريح رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ أخبرني بشيء يوجب لي الجنة فقال: «**قَالَ طِيبُ الْكَلَامِ وَبَذْلُ السَّلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ**»[٣]. أي يكون سببًا لي أن أدخل الجنة.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَمَتَى جَمَعَكَ وَغَيْرَكَ مَجْلِسٌ أَوْ ضَمَّكَ وَإِيَّاهُمْ مَسْجِدٌ، وَجَرَتِ الْمَسَائِلُ، وَخَاضُوْا فِيْهَا بِخِلَافِ عِنْدَكَ، لَمْ تُبْدِ لَهُمْ مِنْكَ خِلَافًا.

---

(١) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، ج٢، ص٢٤٥.

(٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢٦٩٨)، ج٤، ص٣٥٦.

(٣) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، ج٢، ص٢٥٨.

فَإِنْ سُئِلْتَ عَنْهَا! أَجَبْتَ بِمَا يَعْرِفُهُ الْقَوْمُ، ثُمَّ تَقُوْلُ: وَفِيْهَا قَوْلٌ ءاخَرُ كَذَا، وَحُجَّتُهُ كَذَا، فَإِذَا سَمِعُوْا مِنْكَ عَرَفُوا قَدْرَكَ وَمِقْدَارَكَ، وَإِنْ قَالُوْا: هَذَا قَوْلُ مَنْ؟ فَقُلْ قَوْلُ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ.

وَإِنِ اسْتَقَرُّوْا عَلَى ذَلِكَ، وَأَلِفُوْهُ، وَعَرَفُوْا مِقْدَارَكَ وعَظَّمُوْا مَحَلَّكَ، فَأَعْطِ كُلَّ مَنْ يَخْتَلِفُ إِلَيْكَ نَوْعًا مِنَ الْعِلْمِ يَنْظُرُوْنَ فِيْهِ، وَيَأْخُذُ كُلٌّ مِنْهُمْ بِحَظٍّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ).

الشرح: وصية جليلة تنبئ عن فهم عميق من إمام ملأ فضلُه بطون الكتب، ولكن لقوة عبارات هذا الإمام كانت هذه الوصية تشتمل على وجوه، فينبغي العناية بشرحها لفهم معناها على ما ينبغي.

فنقول وبالله التوفيق:

أوّلًا: قد بيّن لنا النبي ﷺ أنّ الناس مراتب، ليسوا كلهم في طبقة واحدة حيث قال ﷺ: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**»[1]، فأفهمنا رسول الله ﷺ أنّ الناس بين مجتهدين وعوامّ، وأمرنا الله تعالى باستفتاء العلماء عند طروء المسائل، فقال سبحانه: ﴿**فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧**﴾ [الأنبياء].

ثانيًا: علم الدين أيضًا ليست كل مسائله في مرتبة واحدة، إذ إنّ من العلم ما يتعلّق بأصل الدين وأصل العقيدة، ومنه ما يتعلّق بفروع الشريعة.

(١) أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث (٣٦٦٠)، ج٣، ص٣٢٢.

ثالثًا: الكلام على مذاهب العلماء المجتهدين التي عليها عملُ الناس، قال ابنُ قُدَامَة في "المغني": «وجعل في سلف هذه الأمة أئمةٌ من الأعلام، مهّد بهم قواعدَ الإسلام، وأوضح بهم مشكلات الأحكام، اتفاقُهم حجةٌ قاطعةٌ، واختلافهم رحمةٌ واسعةٌ».

ونزيد الأمر تفصيلًا فنقول: إنّ قواعد الإسلام وأصوله العقدية لا تختلف بين عالم وءاخر بين المجتهدين، ولا بين فقيه وعامي، فلا تختلف بين أهل السنة والجماعة، وبناءً على هذا نقول: إنّ ما نشهده من المسلمين من انتساب إلى أشاعرة وماتريدية ليس معناه أن المسلمين منقسمون في أصول العقائد.

والحق أن فرقتي المسلمين الأشاعرة والماتريدية متفقان في أصول الدين، كتوحيد الله تعالى وترك الإشراك به شيئًا وتنزيهه سبحانه عن الحيز والمكان والجهة واللون والشكل والصورة والخيال والحركة والسكون وسائر الكيفيات.

وعلماء الأشاعرة والماتريدية هم الذين قرّروا في كتبهم قاعدةً من أنكر ما علم من الدين بالضرورة أي ما علم علمًا ظاهرًا يشترك في معرفته العلماء والعامة من المسلمين كفر، لكن من كان قريب عهد بإسلامٍ أو كان يشبه قريب العهد بالإسلام كأن نشأ في بادية بعيدة عن العلماء أو نشأ بين المسلمين ولكن لم يتردّد على سمعه الحكم الذي أنكره، فإنه لا يكفر بشرط أن يكون غير عالم بورود الحكم الذي أنكره في دين الإسلام، وقالوا هذا كله في إنكار حكم فرعي أي إن لم يكن الأمر الذي أنكره نحو تنزيه الله عن الشبيه وتنزيهه عن التحيز في الجهة والمكان وتنزيهه عن الصورة والهيئة والشكل واللون والحدّ والعجز والسفه وصفات المخلوقين، ونحو تبرئة الأنبياء من الخيانة والسفاهة والرذالة ونحو ذلك من الصفات الخسيسة، فإنه يكفر ولو كان حديث عهدٍ

بإسلام أو متأوّلًا بعض الآيات أو الأحاديث على غير معناها لضعف فهمٍ أو علمٍ لأن تجويز النقائص المذكورة ينقض الإيمان بالله وبالرسول.

وعمد هؤلاء الأعلام في كتبهم إلى القول بأنّ أصول الدين أي العقائد قسمٌ متعلّقٌ بأصل معنى الشهادتين، فمن خالفه ولو مع الجهل بوروده في الشرع لا يصحّ إيمانه بالله وبرسول الله ﷺ.

فإذًا لا خلاف بين العلماء في الأصل، وهنا يقع السؤال: ما هو الخلاف الذي أراده الإمام في هذه الوصية؟

ليُعلم أنّه قد وقع خلافات بين الأشاعرة والماتريدية كان بعضها مجرد خلاف لفظي بينهما، وأمّا في الحقيقة فلا خلاف بينهم، وبعضها كان الخلاف فيها متحققًا موجودًا إلّا أن هذه الخلافات إنما هي في فروع العقيدة لا أصولها.

كما وقع مثل ذلك بين مذاهب العلماء في الأمور الفقهية كالخلافات الحاصلة بين الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد، لكن هذه الخلافات لا توجب تكفيرًا ولا تفسيقًا ولا تبديعًا. كيف يكون ذلك وقد وقع الخلاف في مسائل بين صحابة النبي ﷺ.

فكلام الإمام لتلميذه في الوصية: «**ثم تقول وفيها قولٌ ءاخر كذا**» محمولٌ على هذين النوعين من الخلاف بدليل قوله بعدُ في الوصية: «فقل قول بعض الفقهاء».

فالفقهاء يجتهدون حيث كان للاجتهاد محلٌّ، وحيث كان للرأي فيه مجالٌ، فلا يكون للاجتهاد مدخلٌ في الأصول والقطعيات، ولذا نصّ العلماء أنّ من اجتهد فأخطأ فيها كفر، ولا اجتهاد إذا ورد النصّ وجاء الخبر، ولذا قد قال الحافظ ابن المنذر: "إذا جاء الخبر ارتفع النظر".

وحيث لم يرد النصّ فالاجتهادُ المبنيُّ على الأسس الصحيحة مقبولٌ، وإلا فلا:

وليسَ كلُّ خلافٍ جاء معتبرًا إلا خلافٌ له حظٌّ من النظر

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وخُذْهُم بِجَلِيِّ الْعِلْمِ دُوْنَ دَقِيْقِهِ).

الشرح: هي لفتة نظر من الإمام ووصيةٌ منه وإرشادٌ له كيف هي الطريق لتدريس الناس، وفي الحقيقة من تأمّل الكلمات وفهم فحواها ومغزاها يعرف ويفهم أنّ الإمام أبا حنيفة يعلمه ويربيه ليكون ربانيًا.

ما معنى الرباني؟ وما هو؟ وما هي صفاته؟ أسألة تُطرَحُ وفيما يأتي جوابٌ شافٍ بإذن الله تعالى، وقد قال ﷺ: «**شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ**»[1].

قال تعالى: ﴿**كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩**﴾ [ءال عمران].

قال الطبري: «فالربانيون إذًا هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، والرباني الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير بأمور الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم».

وقال النووي: «العلماء الربانيون الذين ورثوا النبي ﷺ علمًا وعبادةً وأخلاقًا ودعوةً، وهؤلاء هم أولو الأمر حقيقة لأنّ هؤلاء يباشرون العامة ويباشرون الأمراء ويبينون دين الله ويدعون إليه».

ومع إخلاصهم فهم يتحلّون بالحكمة فيدعون إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ويَرْفُقُون بمن يعلمونهم، وقال الحافظ ابن حجر في تعريف العالم الرباني: «الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره».

---

(١) أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث (٣٣٦)، ج١، ص٩٣.

فالعالم الرباني حكيم في علمه، يضع العلم في موضعه، ولا يصرف دقيق العلم لمن لا يفهمه، فمثلًا عامة الناس يحتاجون إلى حكمة في إيصال العلم الذي يجب أن يتعلّموه، فيسهّل وييسّر العلم الشرعي لهم حتى يتمكن من الوصول إلى العوام من الرجال والنساء والكبار والصغار.

ومن الحكمة أن لا تصدم بعض الناس بما هو أكبر من عقولهم، فقد يؤدّي ذلك إلى ردّهم وتكذيبهم، وفي الأثر عن سيدنا علي رضي الله عنه قال: «خاطبوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب اللهُ ورسولُه».

ويقول الفقيه الغزالي في إحياء علوم الدين «كلْ لكل عبد بمعيار عقله وزِنْ له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار».

ومن الحكمة أن يبدأ بالأهمّ قبل المهمّ، فيشتغل بالعلوم الضرورية قبل غيرها، ومن ذلك تعليم الناس العقيدة، عقيدة النبي ﷺ، وبيان أنّ الله تعالى موجودٌ لا كالموجودات، شىء لا كالأشياء، متصفٌ بصفاتٍ تليق بجلاله وعظمته، والتحذير من الكفر بأقسامه الثلاثة: القولي والفعلي والاعتقادي، والتحذير من أهل الضلال.

فهؤلاء الربانيون لهم سمات واضحة في تعليمهم منها:

١. أن يكونوا ربانيين حقًّا أي يربون الناس بالعلم، ويراعون في ذلك التدرّج في التعليم.

٢. بذل العلم للعامة بسهولة العبارة ووضوحها، لأنّ المقصود ليس التقعر بالقول وإظهار القدرة على الناس، بل المقصود تبليغ السامع الحق مع الإخلاص.

جعلنا الله من العلماء الربانيين الهداة المهديين، وأسلكنا سبلهم، إنه كريم وعلى ما نسأله قدير.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَءَانِسْهُمْ وَمَازِحْهُمْ أَحْيَانًا).

الشرح: إنّ هذه الوصية التي كما قد عُلِمَ تتعلّق بآداب العالم والمتعلم، ومفهوم أنّ هذه النصيحة بالخصوص تندرج تحت كيفية تعامل الشيخ والعالم مع طلبته وتلاميذه، وبناءً على ذلك لنتكلّم على الْمُزاح.

المزاح بالضم وسيلة يراد بها المباسطة والملاطفة والمؤانسة بحيث لا يفضي إلى أذى، فإذا بلغ الإيذاء فإنه يفضي إلى السخرية.

ومما يطلب في المزاح أن يكون على سبيل المباسطة وتطييب الخاطر وإدخال السرور على قلب المسلم، فقد قال رسول الله ﷺ: «**وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ**»(١). وعن عبد الله بن الحارث قال: «**مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»(٢).

الضوابط الشرعية في المزاح:

١. أن لا يكون فيه شيء من الاستهزاء بالدين، فيعدّ هذا من نواقض الإسلام، قال الله تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ [التوبة].

٢. أن لا يكون صدقًا لا كذب فيه: روى الإمام أحمد في "مسنده" أنّ رسول الله ﷺ قال: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ**»(٣).

---

(١) مر تخريجه. انظر ص٧٣.

(٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٣٦٤١)، ج٦، ص٣٨.

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢٣١٥)، ج٤، ص١٣٥.

٣. أن لا يروّع أخاه، فقد أورد أبو داود في "سننه" أنّ عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ، أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**»[1].

٤. عدم الانهماك والاسترسال والمبالغة الإطالة، ينبغي أن لا يداوم على المزاح، روي عن عمر بن عبد العزيز: اتقوا المزاح فإنه يذهب بالمروءة.

٥. وأن لا يكون مع السفهاء، فقد روي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال لابنه: اقتصر في مزاحك، فإنّ الإفراط فيه يُذهب البهاء، ويجرّئ عليك السفهاء.

فبعد هذا كله يتضح لك تعريف المزاح ومتى يكون مذمومًا، ومتى يكون ممدوحًا، فالشيخ إذا مازح طلابه فإنما ذلك لإيناسهم وليبعد عنهم مللًا إن كان، وهذا مما يساعد الطلاب على الاستمرار في تحصيل العلم.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَحَادِثْهُمْ، فَإِنَّهَا تَجْلِبُ الْمَوَدَّةَ وَتَسْتَدِيْمُ بِهِ مُوَاظَبَةَ الْعِلْمِ).

الشرح: مما ينبغي الاعتناء به مجالسة أهل العلم والطلبة والإخوة والأصدقاء بقصد مذاكرة العلم معهم واستحضار ما مضى من الدروس والفوائد والمباحثة لتمكين المسائل والعمل بأحكامها. فإنّ ذلك من أسباب ترسيخ العلم في نفس متلقّيه إن كان شيخًا أو طالبًا، قال الله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات].

---

(١) أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث (٥٠٠٤)، ج٤، ص٣٠١.

ومن هذه الفوائد ملأ الوقت بالنافع والمفيد وشغل الناس بالعلم والاستعداد للآخرة، ولئلا يشتغل البعض بسبب الفراغ الذي عنده بالغيبة أو النميمة أو إلى مصاحبة الفسقة والفجرة والجهلة، فإنّ من الناس من يجرّه الفراغ إلى الهلاك، وقد قال ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**»(١).

فالفراغ إن لم تشغله بما يعود عليك بالنجاح في الدنيا والسعادة في الآخرة فقد تنساق بسببه إلى ما تُحمَد عقباه، والعاقل الذكي هو الذي يجعل لكل وقت عملًا ليرى ثمرة هذا الوقت والعمل، وكما قال العلماء قديمًا الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَأَطْعِمْهُمْ أَحْيَانًا).

الشرح: لماذا قد يوصي الإمام بالإطعام؟ وماذا في إطعام الطعام وما الذي يزرعه المربي في نفوس طلبته إذا أطعمهم؟

نقول: إنّ من الصفات الكريمة التي ندب إليها ديننا الحنيف إطعام الطعام فقد أمر الله بذلك في آيات منها: قوله تعالى: ﴿**وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ۝٢٨**﴾ [الحج]. وقوله في السورة نفسها: ﴿**وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ**﴾ [الحج].

ومن هدي النبي ﷺ أنه كان يأمر أصحابه بذلك، لا سيما إذا رأى أهل الفاقة، كما في حديث مسلم عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النِّمار أو العباء، متقلّدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلّهم من

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٦٤١٢)، ج٨، ص٨٨.

مضر فتمعّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالًا فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخر الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ①﴾ [النساء] والآية التي في الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ⑱﴾ [الحشر] «**تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ** - حَتَّى قَالَ - **وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(١).

فما هي فضائل إطعام الطعام؟

- **إطعام الطعام من خير الأعمال:** فعن عمر رضي الله أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أيّ الناس أحب إلى الله، وأيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا**»(٢).

- **فاعل ذلك من خير الناس:** قال رسول الله ﷺ: «**خِيَارُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَرَدَّ السَّلَام**»(٣).

- **سبب للنجاة من النار:** فلقد قال رسولنا ﷺ «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(٤).

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (١٠١٧)، ج٢، ص٧٠٤.

(٢) مر تخريجه. انظر ص٧٠

(٣) أحمد، **مسند أحمد**، ج٣٩، ص٣٤٨.

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (١٤١٧)، ج٢، ص١٠٩.

– **من أسباب دخول الجنة:** فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلاَمَ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ**»[١].

ويشترط لحصول هذا الأجر والثواب أن يكون المطعم مؤمنًا مخلصًا يُطعِم طعامًا حلالًا، وأما إن كان كافرًا فلا أجر له، أو كان مرائيًا أو كان من حرام فلا ثواب له.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَاْقضِ حَوَائِجَهُمْ).

الشرح: إن الكلام عن فضل قضاء حوائج المسلمين تسطّر فيه الكتب، وقد مرّ الكلام على فضل ذلك في طيات هذه الوصية، ولكن تكرار الإمام لها يدلّ على أهمّيتها، ونحن بالتالي سنخوض في الحديث عنها بذكر بعض أقوال السلف:

١. قال حكيم بن حزام: «ما أصبحت وليس ببالي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها».

٢. قال عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما لابن أخيه: «إن من أفضل العطية ما أعطيت الرجل قبل المسألة، فإذا سألك فإنما تعطيه ثمن وجهه حين بذله إليك».

٣. قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما: «ليس الجواد الذي يعطيك بعد المسألة، ولكن الجواد الذي يبتدئ لأن ما يُبذِله إليك من وجهه أشدّ عليه مما يُعطَى عليه»[٢].

٤. قال محمد بن واسع رحمه الله: «ما وددت أحدًا عن حاجة أقدر على قضائها ولو كان فيها ذهاب مالي».

٥. قال محمد بن المنكدر رحمه الله: «لم يبق من لذة الدنيا إلا قضاء حوائج الإخوان».

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (١٨٥٥)، ج٣، ص٣٥١.

(٢) أي الكمال في الجود الابتداء قبل المسألة.

٦. قال عثمان بن واقد العمري: «قيل لمحمد بن المنكدر: أيُّ الدنيا أعجب إليك؟ قال إدخال السرور على المؤمن».

فهذا إمام أهل السنة والجماعة يوصي تلميذه بقضاء حوائج تلاميذه وطلاب العلم لما في ذلك من الأثر الطيب الذي يزرع في قلب المحتاج، وبذلك تكتسب أيها الشيخ، أيها الداعية وهذا طريق ومفتاح لقلوب الناس.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَاعْرِفْ مِقْدَارَهُمْ).

الشرح: إنّ إنزال الناس منازلهم مطلب ديني وخلق نبوي قلّ من اتصف به، وممن يشار إليهم بالبنان ويشاد لهم باللسان، وورثة الأنبياء وهم الذين لهم التقدير والاحترام. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ١٦٥﴾ [الأنعام]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ١١﴾ [الأنعام].

خصلة حميدة لمن أخذ بحقها فهي لم تزل سببًا عظيمًا من أسباب تأليف القلوب ومظهرًا جليًّا من مظاهر المعاملة الحسنة للناس بما يناسب أحوالهم ومنازلهم.

فعن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ قال: «**أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**»[(١)].

وعن أبي أمامة رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**»[(٢)]. أي يدعون له.

---

(١) مرّ تخريجه. انظر ص٥٧.

(٢) مرّ تخريجه. انظر ص٦٠.

ومن لهم الاحترام والتلطف كبار السنّ، فعن أنس بن مالك رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلاَّ قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ**»[1].

ومن هو جديرٌ بالرحمة والتقدير المسلم التقيُّ ولو كان فقيرًا، وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**»[2].

ومن هو جديرٌ بذلك أيضًا كل من له يدٌ بيضاء في الخير وإنفاقه، فها هو ﷺ يُنزِلُ عثمان بنَ عفان رضي الله عنه منزلةً تليق به، يقول عبد الرحمن بن سمُرة: رأيت عثمان ابن عفان رضي الله عنه جاء بألف دينار، فصبّها في حجر النبي ﷺ حين جهّز جيش العسرة، فقال النبي ﷺ: «**مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ**»[3].

ويناسب هذا ذكر تفضيل من فضّلهم الله، فأفضل هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم.

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢٠٢٢)، ج٣، ص٤٤٠.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٦٢٢)، ج٤، ص٢٠٢٤.

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٣٧٠١)، ج٦، ص٦٧.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَتَغَافَلْ عَنْ زَلَّاتِهِمْ).

الشرح: هذه وصية جديدة فيها الحثّ على التغافل عن أخطاء الآخرين وهذا في موضعه من الشِّيم.

يقول الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف].

وروى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «**لاَ يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**»[1]، وليس معنى ذلك أنّه ﷺ يحكم على صحابي بقول من لا يثبت خبره، ولا يعني أنه يسيء الظنّ بهم، بل هو حثّ على سلامة الصدر وتحسين الظنّ.

التغافل معناه تعمد الغفلة، أي أن يُرِيَ الآخر أنه غافل مع علمه التامّ وإحاطته بما هو متغافل عنه ترفّعًا عن الدنيا وسفاسف الأمور.

يقول الحسن البصري رحمه الله: «ما زال التغافل من فعل الكرام»، إذ به تبنى العلاقات وتنمو المحبات وتزدهر.

فالتغافل في موضعه دليل قوي على حسن خلق صاحبه، بل هو من العقل والحكمة، كما قال الشافعي رضي الله عنه «الكيّس العاقل هو الفطن المتغافل».

أيها المسلمون إنّ من أعظم فوائد التغافل أن المتغافل يُكسِبُ صاحبه راحة في نفسه، ولقد أعطانا رسول الله ﷺ مثالًا عظيمًا على ذلك، كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ المشركين كانوا يسبون النبي ﷺ فيقول رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أَلاَ تَعْجَبُونَ**

---

(١) أحمد، **مسند أحمد**، ج٦، ص٣٠٢. الترمذي، **سنن الترمذي**، ج٦، ص١٩٣.

كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ»[١].

مع أنه ﷺ يعلم أنهم إنما قصدوه.

وأما الذي يقف عند كل كلمة ويحاسب على كل صغيرة وكبيرة فهو على شفا حفرة من تنغُّص عيشته، فكم من مشاكل وقعت في المجتمع كان سببها عدم التغافل، كما قال الأعمش رضي الله عنه «التغافل يطفئ شرًّا كثيرًا».

تنبيه: ليس معنى التغافل ترك النصيحة والتنبيه على المخالفات للشرع. ولا يكون التغافل مع المفسدين المتلونين المصرّين المستمرين.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَارْفُقْ بِهِمْ).

الشرح: إنّه حريص على مراقبة العالم لأفعاله وأن يحسنها فإنه مرآة، وهذه الوصية في الرفق، نعرض بعض الأحاديث التي وردت في ذلك لتكون تشجيعًا للمسلم على الالتزام بالرفق والتخلق به.

١. روى البخاري عن النبي ﷺ قال: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**»[٢].

٢. وفي صحيح مسلم: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ**»[٣].

٣. وعن النبي ﷺ قال: «**يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»[١].

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٣٥٣٣)، ج٤، ص١٨٥.

(٢) مر تخريجه. انظر ص٩٢.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٥٩٢)، ج٤، ص٢٠٠٣.

٤. وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(٢).

ونختم بدعاء رسول الله ﷺ «**اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**»(٣)، فالمسلم برفقه ولينه يصير بعيدًا عن النار، قال النبي ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تُحَرَّمُ عَلَيْهِ النَّارُ**»، قالوا بلى يا رسول الله قال: «**عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ قَرِيْبٍ سَهْلٍ**»(٤).

وهذه الصفات هي من صفات المؤمن الكامل، فالأصل الإسلام، ولو اجتمعت هذه الصفاتُ في غير المسلم ومات على غير الإسلام فالجنة عليه حرام وهو حطب جهنم.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَسَامِحْهُمْ).

الشرح: لو تأمّل الواحد منا كم مرة يحثّ الإمام على هذا، وكم مرة أعادها وكرّرها بعباراتٍ مختلفة وجملٍ متنوعة، فإنها كلَّها تندرج تحت عنوان واحد ألا وهو حسن الخلق. ومراده من هذا العفو والتجاوز عن الزلات والأخطاء، وهو موصل إلى حسن الخلق.

الخلق: هو تحمّل الأذى وبذلُ المعروف وكفُّ الأذى وتقوى الله تعالى بأداء الواجبات واجتناب المحرمات، لأنّ المعاصي سبب لقسوة القلب.

---

(١) مر تخريجه. انظر ص٩٠.

(٢) مرّ تخريجه. انظر ص٩٠.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (١٨٢٨)، ج٣، ص١٤٥٨.

(٤) الطبراني، **المعجم الكبير**، ج١٠، ص٢٣١.

قال ﷺ: «**اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(١).

وسئل عليه الصلاة والسلام عن أكثر ما يدخل الجنة؟ قال: «**تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا**»(٣)، فخيار الناس هم الذين تعلّموا الشرع وطبّقوه وحسنت أخلاقهم وحسن الخلق من سمو الأحوال، ويرفع درجات المؤمن عند الله.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلَا تُبْدِ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ضِيْقَ صَدْرٍ أَوْ ضَجْرًا).

الشرح: تدور هذه الوصية حول أمرين جليلين لطالما عبّر عنهما الإمام بعناوين مختلفة وعبارات ونصائح متنوعة، ألا وهما: كظم الغيظ. وضبط النفس. وكلاهما يشملهما موضوع الوصية وهو علاقة العالم بغيره.

كظم الغيظ: يقال: كظم غيظه إذا تجرعه واحتمل سببه وصبر عليه وسكت عليه ولم يظهره بقول أو فعل مع قدرته على إيقاعه بعدوه. قال تعالى: ﴿**وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ**﴾ [آل عمران]. أي ومن نهى النفس عن هواه، فإنّ الجنة مأواه والحور العين جزاؤه.

ويروى عن بعض السلف أنّه قال: «من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريده».

كيفية ضبط النفس عند الغضب:

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (١٩٨٧)، ج٣، ص٤٢٣.

(٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢٠٠٤)، ج٣، ص٤٣١.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٦٠٣٥)، ج٨، ص١٣.

استحضار أنّ الله هو المدبّر لكل شيء بتدبيره الأزلي، وأنّه يراك ومطلع عليك، فاسع إلى مرضاته والتقرب إليه بالطاعة. والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

ثمار ضبط النفس:

الاتصاف بالإحسان والعفو. كسب قلوب الآخرين وطول المودّة والألفة.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَكُنْ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ).

الشرح: يشير الإمام إلى التواضع وينبه تلميذه من الكبر.

الكبر: ردّ الحق على قائله بأن الصواب مع القائل لنحو كون القائل صغير السن، فيستعظم أن يرجع إلى الحق من أجل أنّ قائله صغير السن أو لأنّه من الخاملين والمردود عليه من المشهورين البارزين ونحو ذلك.

التواضع: هو خفض الجناح ولين الجانب، وقد سئل الفضيل بن عياض رحمه الله عن التواضع فقال: يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله ولو سمعه من صبي قبله.

وفي صحيح مسلم قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»(٢).

نسأل الله أن يحفظنا من الكبر والتكبر والخيلاء كما نسأله أن يجعلنا من عباده المتواضعين.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَارْضَ مِنْهُمْ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ).

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٨٦٥)، ج٤، ص٢١٩٨.

(٢) مر تخريجه. انظر ص٧٢.

الشرح: يشير الإمام إلى القواعد والمبادئ التي تنظم علاقة المسلمين مع بعضهم وتحكم تعاملهم فيما بينهم حتى لا يبغي أحد على أحد ويبتعدوا عن الخصام والشجار.

ومن هذه القواعد قاعدة إسلامية عظيمة وأصيلة تقوم على مبدأ: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك به، وهذه مأخوذة من حديث للنبي ﷺ يقول فيه: «**فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**»(١).

وهذه القاعدة صلة بقاعدة أخرى تقوم على مبدأ: «أحبّ لأخيك المسلم ما تحبه لنفسك»، وقد أكّد النبي ﷺ على هذا المبدأ وجعله شرطًا في كمال الإيمان حين قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(٢).

وهذه القاعدة عبارة عن ميزان يرجع إليه الإنسان كلما اشتبه عليه الأمر، واختار في تصرف، فبالرجوع إلى هذه القاعدة يسهل الأمر عليه في كيفية التعاطي مع الناس.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَاسْتَعِنْ عَلَى نَفْسِكَ بِالصِّيَانَةِ لَهَا، وَالْمُرَاقَبَةِ لِأَحْوَالِهَا).

الشرح: يقدم لنا الإمام بعض المراحل العملية في تربية وتهذيب النفس وهي المراقبة والمحاسبة وتَبْرُزُ أهميتُها بأنها من الأسباب الأساسية للوصول إلى التقوى وتزكية النفس.

بيان المراقبة والمحاسبة:

المراقبة هي أن يلاحظ الإنسان نفسه عند الخوض في الأعمال في كل حركة وسكون.

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (١٨٤٤)، ج٣، ص١٤٧٢.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (١٣)، ج١، ص١٢.

والمحاسبة هي أن يعيّن الإنسان وقتًا في كل يوم يحاسب نفسه بموازنة طاعاته وحسناته.

ثمرة المحاسبة:

إن لمحاسبة النفس ومراقبتها نتائج وثمرات متعددة، منها:

الشعور بالندم والبدء بالاستغفار، التعويض وذلك من خلال تدارك ما فاته بأمور خيرٍ كثيرة، التزوّد وهو الدخول في كثيرٍ من المستحبات والأعمال الفاضلة لتثقيل الميزان يوم القيامة.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم اجعلنا من التوابين المراقبين لأنفسهم الصائنين لها عن المحظورات.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلَا تَضْجَرْ لِمَنْ لَا يَضْجَرُ عَلَيْكَ).

الشرح: قد سبق قول الإمام رضي الله عنه «وَلَا تُبْدِ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ضِيْقَ صَدْرٍ أَوْ ضَجْرًا»، ثم جاءت هذه الوصية هنا تأكيدًا وتثبيتًا لمعنى حسن الخلق في نفس يوسف بن خالد السمتي.

إن من أعظم الناس في هذا الشأن حظًّا وأكثرهم أجرًا هم الموفقون الذين يدفعون السيء بالحسن ويردون الظلم بالعفو ولا يبدون أي ضجرٍ أو ضيق جاعلين نبراسهم في ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥**﴾ [فصلت].

وقد وعد الله من عفا وصبر أن يكون أجره على الله قال سبحانه: ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ٤٠**﴾ [الشورى].

فمن عفا وأصلح فقد سلك سبيل العزة، قال ﷺ: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا**»[1].

---

(١) مر تخريجه. انظر ص١٥٢.

فمن كانت هذه صفته فإنّ له شأنًا عظيمًا ونظرًا أدقّ وتفكيرًا أعمق من غيره، وإنّه يفرغ قلبه وجسمه لمصالحه التي هي أهمّ عنده من الانتقام. فرحم الله أمرًا جعل طلب الأجر بين عينيه والتمس عظم الثواب ورفيع الدرجة عند ربه وأيقن بقرب الموت وسرعة انقضاء العمر.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَدَعِ الشَّغَبَ).

الشرح: الشغب بسكون الغين تهييج الشر والفتنة والخصام، فإذًا بعد هذا النص من ابن منظور صاحب لسان العرب يظهر لك أيها القارئ تصوّر أوّليّ لفحوى هذه الوصية.

أيها القارئ من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى، واعلم أن نبينا محمدًا ﷺ قد حذّرنا من جملة فتن تكون بين يدي الساعة، ودلّنا على أسباب النجاة منها فاتبعوه ﷺ على سنته ولا تخالفوا أمره قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ١٣٢﴾ [ءال عمران]، وقال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور]، وقال ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**»[1].

فقد حذّرنا رسول الله ﷺ من الفتن فقال: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ**»[2].

---

(١) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث (٤٢)، ج١، ص١٥.

(٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، ج٤، ص١٠٠.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**تَأْتِيكُمْ مِنْ بَعْدِي أَرْبَعُ فِتَنٍ، فَالرَّابِعَةُ مِنْهَا الصَّمَّاءُ الْعَمْيَاءُ الْمُطْبِقَةُ، تُعْرَكُ الْأُمَّةُ فِيهَا بِالْبَلَاءِ عَرْكَ الْأَدِيمِ، حَتَّى يُنْكَرَ فِيهَا الْمَعْرُوفُ، وَيُعْرَفَ فِيهَا الْمُنْكَرُ، تَمُوتُ فِيهَا قُلُوبُهُمْ كَمَا تَمُوتُ أَبْدَانُهُمْ**»(١).

ومما يسلم به الله من شرّ الفتن: ما أرشد إليه ﷺ بقوله: «**عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ**(٢) **وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ**»(٣).

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَاسْتَمِعْ لِمَنْ يَسْتَمِعُ مِنْكَ).

الشرح: ليعلم أنّ الإصغاء له تأثير عظيم في مجال العلاقات الدينية والاجتماعية والعلمية، ومن هنا كان للإنصات دوره في كسب ثقة الناس، وكان العلماء يقولون: أول باب العلم الاستماع، وقد وجّه القرآن المسلمين إلى الأمر بالإنصات لتلاوة القرآن للتفكر والتدبر وغيرهما من الفوائد. قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**٢٠٤﴾ [الأعراف].

وهنا فائدتان:

– **تجنّب الاستماع إلى الغيبة والكلام القبيح:** فكما حرّم الشرع أن يغتاب المسلم أخاه حرم كذلك أن يستمع الواحد منا إلى غيبة أخيه دون الإنكار على قائلها. قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ**

---

(١) أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية المروزي (-٢٢٨هـ/)، **كتاب الفتن**، تحقيق سمير أمين الزهيري، القاهرة، مكتبة التوحيد، ط١، ١٤١٢هـ١٩٩١م، ج١، ص٦٧.

(٢) المراد بالجماعة هنا السواد الأعظم، جمهور أمة النبي ﷺ وهم الأشاعرة والماتريدية.

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (٢١٦٥)، ج٤، ص٣٥.

هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ۝٣﴾ [المؤمنون]. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**(١).

– **البشاشة والوجه الطلق**: من ءادب الاستماع تحلّي المستمع بالبشاشة والوجه الطلق وتجنب العبوس والكآبة، قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»**(٢).

فحسن الاستماع مما ينبغي أن يلتزم في الحوارات لأنّه مما يقوّي الألفة والمحبة، وكم من حوارات كانت نتيجتها الفشل بسبب ترك هذا الأدب.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَلَا تُكَلِّفِ النَّاسَ مَا لَا يُكَلِّفُوْكَ، وَارْضَ لَهُمْ مَا رَضُوْا لِنَفْسِهِمْ).

الشرح: هذا من أسباب دوام الصدقة والصحبة والأخوة لأنك إن كلّفت الناس ومن حولك من الأحبة والطلاب بما لا يطيقونه من الأعمال الصعاب عليهم قد يكون ذلك سببًا ليتفرقوا عنك، ولذلك كان من وصية رسول الله ﷺ: **«وَلَا تَدَابَرُوْا»**(٣). وأمّا إن خففت عمن معك وعن الذين يحبونك كان ذلك أدوم لملازمتهم لك وثباتهم معك وعدم الإعراض عنك، وفي حديث رسول الله ﷺ: «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ**

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، حديث (١٩٣١)، ج٣، ص٣٩١.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٦٢٦)، ج٤، ص٢٠٢٦.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٦٠٦٤)، ج٨، ص١٩.

يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[1].

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَقَدِّمْ حُسْنَ النيّةِ).

الشرح: إنّ لأمر النية اعتبارًا في الشرع، فقد ورد في الحديث عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[2].

النية في القرءان الكريم:

فقد ورد التعبير عن هذه النية المشروطة في القرءان بتعابير مختلفة مثل إرادة الآخرة أو إرادة وجه الله أو ابتغاء وجهه أو ابتغاء مرضاته.

يقول تعالى: ﴿**مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ﴿١٥٢﴾**﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾**﴾ [الإسراء].

السنة في الأحاديث الشريفة:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال أرأيت رجلًا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ «**لَا شَيْء لَه**»، فأعادها ثلاث مرات يقول رسول الله

---

(١) مر تخريجه. انظر ص٧٧.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (١)، ج١، ص٦.

ﷺ ثم قال: «**لَا شَيْء لَهُ ثمَّ قَالَ إِنّ اللهَ لَا يَقْبَلُ من الْعَمَل إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وابتغي بِهِ وَجهه**»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**» قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**»[3].

تصحيح النية شرط لقبول العمل، فلا بدّ قبل العمل الصالح من استحضار النية وتجريدها من كل الشوائب وإخلاصها لله تعالى في كل عمل من أعمال الآخرة حتى يجوز القبول عند الله. نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص وتصحيح النية في القول والعمل.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَاسْتَعْمِلِ الصِّدْقَ).

الشرح: الصدق سمة من سمات الأنبياء والمرسلين وجميع عباد الله الصالحين، وقد أمرنا الله تعالى بأنّ نتحلّى بهذا الخلق العظيم وأن نكون مع الصادقين فقال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩**﴾ [التوبة].

---

(١) المنذري عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله (-٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، **الترغيب والترهيب**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٢٣.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٢١١٨)، ج٣، ص٦٥.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٥٦٤)، ج٤، ص١٩٨٦.

وجاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»(١).

ومن فوائد وبركات ونتائج الصدق:

- ثقة الناس بالصادقين وثناؤهم الحسن عليهم كما ذكر الله عن أنبيائه الكرام: ﴿**وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠**﴾ [مريم].

- الثناء في الملأ الأعلى، لقوله ﷺ: «**حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا**».

- الفوز بالجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿**يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١١٩**﴾ [المائدة].

- يفوز بمنزلة الشهادة إن طلبها بصدق، قال ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»(٢).

وغير ذلك من فوائد وثمرات الصدق، أسأل الله أن يجعلنا من الصادقين في جميع أحوالنا وأن يصرف عنا الكذب ويجعلنا من الملتزمين بوصايا هذا الإمام.

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٦٠٧)، ج٤، ٢٠١٣)،

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (٢٦٠٧)، ج٤، ص٤.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (واطْرَحِ الكِبْرَ جانِبًا).

الشرح: التكبر سمة تظهر في أعمال المتكبر حتى تعلو كلامه وحركاته وسكناته فيمنعه كثيرًا نيل العلم وقبول الحق والانقياد له. قال تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴿١٤٦﴾**﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴿٢٣﴾**﴾ [الأعراف].

وقال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ كِبْرٍ**»(١).

وكان الرجل إذا دخل على أصحاب النبي ﷺ يسأل أيّكم محمد؟ وقد كان من تواضع النبي ﷺ أنه يبيت وقد ربط الحجر على بطنه من الجوع، وكان ينام على الحصير الخشن حتى يؤثر في جنبه ﷺ، وكان ﷺ يقعد مع العبيد والأرقاء ويأكل معهم ويدعوهم إلى بيته.

ومما ينفع لتجنب الكبر أن يستحضر أنّ أوله نطفة مستقذرة وءاخره جيفة منتنة إلا ما رحم ربي وأنّه خرج من محلّ البول مرتين، ويتذكّر أنه ضعيف عاجز لا يستطيع أن يدفع شيئًا من ذلك عن نفسه إلا من نجاه الله وحفظه من ذلك فلأيّ شيء يتكبّر بعد كلّ هذا.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَإِيَّاكَ وَالْغَدْرَ، وَإِنْ غَدَرُوْا بِكَ).

الشرح: جاءنا الإسلام الحنيف بمدح الأخلاق الحسنة ودعوة الناس إلى التخلّق بها وذمّ الأخلاق القبيحة وتحذير الناس منها.

ومنها الغدر وهو أخو الخيانة وقد نهى الله عنهما فقال تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴿٥٨﴾**﴾ [الأنفال].

---

(١) الحاكم، **المستدرك**، ج١، ص٧٨.

وفي الحديث القدسي قال ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَه**»[1].

وفي الحديث الشريف: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا**»[2].

وحين زكّى النبي أصحاب القرون الثلاثة الأولى بيّن ما يقع بعدهم من انتشار الغدر والخيانة فقال: «**ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ**»[3].

وأهل الغدر مفضوحون يوم القيامة كما قال النبي ﷺ: «**إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ**»[4].

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَأَدِّ الْأَمَانَةَ، وَإِنْ خَانُوْكَ).

الشرح: لقد وصف الله تعالى المؤمنين الصالحين الذين كتب الله لهم الفلاح والرشاد في الدنيا والآخرة بأنهم يرعون أماناتهم ويؤدونها حق الأداء. قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨**﴾ [المؤمنون].

ولقد جعل الرسول ﷺ الأمانة من أسباب كمال الإيمان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**لَا إِيمَانَ** -أي كامل- **لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ**»[5].

---

(١) مر تخريجه. انظر ص٧٧.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (١٧٣١)، ج٣، ص١٣٥٧.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٦٤٢٨)، ج٨، ص٩١.

(٤) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث (١٧٣٥)، ج٣، ص١٣٩٥.

(٥) أحمد، **مسند أحمد**، ج١٩، ص٣٧٥.

وقد جعل النبي ﷺ من علامات الساعة عند فساد الزمان نزع الأمانة من قلوب الرجال، فعن حذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا: «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**»، ثم حدثنا عن رفعها قال: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»(١).

والأمانة أنواع:

الأمانة في العبادة، الأمانة في حفظ الجوارح، الأمانة في حفظ الأسرار، الأمانة في الكلام، الأمانة في الودائع، الأمانة في العمل، الأمانة في البيع والشراء.

اللهم طهّر قلوبنا من النفاق وعملنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٦٤٩٧)، ج٨، ص١٠٤.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَتَمَسَّكْ بِالْوَفَاءِ).

الشرح: الوفاء ما أجمله من خلق وما أرقها من خصلة وما أسماها من صفة. الوفاء خلق جميل وكنز ثمين.

الوفاء لغة ضد الغدر، وفي الاصطلاح هو حفظٌ للعهود والوعود وأداء للأمانات.

والوفاء خلقٌ قلّ من يتخلّق به في زماننا، ولقلة وجود ذلك في الناس قال تعالى: ﴿**وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ**﴾ [الأعراف]. يقول الله سبحانه وتعالى آمرًا به: ﴿**وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأنعام].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني أبو سفيان أنّ هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم -أي النبي ﷺ- فزعمتَ أنه أمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، قال: وهذه صفة نبي.

الوفاء من سمات المؤمنين المتقين، فقد قال تعالى: ﴿**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾ [المؤمنون].

وفي رأس ذلك كله أن تقتضي الله حقه، فإنه سبحانه أحقّ بالوفاء، وذلك يكون بطاعته وعبادته وتوحيده وتنزيهه عن سمات المحدثين وصفات المخلوقين. والوفاء منا لرسول الله ﷺ يكون باتباع سنته والتخلّق بأخلاقه والاقتداء به والدفاع عن دينه وعقيدته والاحتفال بمولده ﷺ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَاعْتَصِمْ بِالتَّقْوَى).

الشرح: ودّع الإمام تلميذه بما وصّى به النبي معاذًا حين قال له: «**اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ**»[1]. وقد أحبّ الإمام أن يذكر في خواتيم وصاياه الاعتصام بالتقوى ليركّز في نفس تلميذه أهميتها.

التقوى: هى أداء الواجبات واجتناب المحرمات، وقد روي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه فسّر التقوى بالاستقامة، فقال: أن لا تروغ روغان الثعلب، ومعناه أن تستقيم ظاهرًا وباطنًا على تقوى الله.

وورد عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال: التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

أهمية التقوى:

قد تكاثرت الأدلة في بيان أهمية التقوى ويكفي في بيان أهميتها أنّ أمر الله بها عباده حيث قال تعالى: ﴿**لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦**﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢**﴾ [آل عمران].

من ثمرات التقوى:

محبة الله، رحمة الله في الدنيا والآخرة، سبب لعون الله ونصرته وتأييده، والأمان والنجاة، والقوة على الشيطان، ووسيلة لنيل الأجر العظيم، وتفريج الكرب وتيسير الأمور، والنصر على

---

(١) مرّ تخريجه. انظر ص١٥١.

الأعداء وردّ كيدهم والنجاة من شرّهم، والعبرة عند الله بها، وصفة لأولياء الله وطريق لولايته، والنعيم الخاص في الجنة الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل: قال ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**»[1].

قَالَ الْإِمَامُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَعَاشِرْ أَهْلَ الْأَدْيَانِ حَسَبَ مُعَاشَرَتِهِمْ لَكَ).

الشرح: في هذه الوصية من الإمام لتلميذه الذي أعدّه وتعب عليه إلى أن خرّجه داعية يعتمد عليه في نشر الإسلام ومكافحة المنكرات بأنواعها يؤكّد عليه أن يخالط غير المسلمين وأن يعاملهم إن كان يرجو منفعة ومصلحةً للمسلمين وللدين، إما بتقريبهم من الدين لفوائد عديدة، منها أنهم قد يسلمون إذا رأوا حسن معاملة المسلمين من الصدق والأمانة ومحبة الخير للغير وبذل المعروف للناس، وبهذه المعاملة الراقية والأخلاق الحميدة أسلم كثير من الكفار. فهذه بلاد أندونيسيا وماليزيا دخلها الإسلام بسبب أخلاق وصدق وأمانة التجار المسلمين.

ومن فوائد وثمرات نصيحة الإمام لتلميذه «وَعَاشِرْ أَهْلَ الْأَدْيَانِ حَسَبَ مُعَاشَرَتِهِمْ لَكَ» أنّ من كان من غير المسلمين ورأى هذه الأخلاق الحسنة إن لم يسلم فقد يحجم عن الإضرار بالمسلمين، فيخفف من شرّه وضرره لما يرى من حسن معاملتهم.

فالإسلام لا ينهانا عن الإحسان لغير المسلمين، ولا ينهانا عن معاشرتهم ومخالطتهم مع التزامنا بأحكام ديننا.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (٣٢٤٤)، ج٤، ص١١٨.

فقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «**أَسْلِمْ**»، فأسلم[1].

وقد حصل مع سهل التستري أن كان له جار مجوسي، وكان في نفس البيت في الطابق الأعلى، فانفتحت فتحة في كنيف المجوسي، فكان يقع منها الأذى في دار سهل، فكان يضع كل يوم الجفنة تحت الفتحة، فينزل فيها الأذى، ثم يأخذ ذلك بالليل ثم يطرحه بعيدًا، فمكث رحمه الله على هذا الحال زمنًا طويلًا إلى أن مرض، فدعا المجوسي وأخبره بأنه يخاف أن لا يتسع أخلاق غيره لذلك، فقال المجوسي: أيها الشيخ، أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمن طويل، وأنا مقيم على كفري، أيها الشيخ مدّ يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، ثم مات سهل رحمة الله عليه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد طه الأمين، تمّ تلخيص إرشاد الأنام بشرح وصايا أبي حنيفة الإمام رضي الله عنه لتلميذه يوسف السمتي ولله الحمد والمنة.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، حديث (١٣٥٦)، ج٢، ص٩٤.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾	النساء	٣٦	٩٠
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾	النساء	١٠٣	١٢٢
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾	المائدة	٢	١١٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ﴾	المائدة	٨	١٠٨
﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾	المائدة	١١٩	١٦٠
﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾	الأنعام	١١	١٤٦
﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ﴾	الأنعام	٤٣	١١٣
﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾	الأنعام	١٥٢	١٦٤
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ﴾	الأنعام	١٦٥	١٤٦
﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾	الأعراف	٢٣	١٦١
﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾	الأعراف	١٠٢	١٦٤
﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	الأعراف	١٤٦	١٦١
﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾	الأعراف	١٩٩	١٠٤=١١٧=١٤٨
﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾	الأعراف	٢٠٤	١٥٦
﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾	الأنفال	٥٨	١٦١
﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾	التوبة	٦٥	١٤١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ﴾	التوبة	١١٩	١٥٩

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾	يوسف	٨٨	١٢٧
﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾	يوسف	٩٢	١١٧
﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾	يوسف	١٠٨	١٠٨
﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾	الرعد	٨	١٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ﴾	النحل	٩٠	١٠٢
﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ﴾	النحل	١٢٥	١٠٨
﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾	الإسراء	١٨	٦٢
﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ﴾	الإسراء	١٩	١٥٨
﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾	مريم	٥٠	١٦٠
﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾	الأنبياء	٧	١٣٦
﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ﴾	الأنبياء	٧٣	١٢٩
﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾	الحج	٢٧	٩٧=١٤٣
﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾	الحج	٢٨	٩٧=١٤٣
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾	المؤمنون	١	٩٥
﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾	المؤمنون	٢	٩٥
﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾	المؤمنون	٨	١٦٢=١٦٤
﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾	المؤمنون	٩	٩٥
﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾	المؤمنون	٩٦	١١٩

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾	النور	١١	١٠٥
﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ﴾	النور	٢٢	١٠٥
﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ﴾	النور	٦١	١٣٤
﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ﴾	النور	٦٣	١٥٥
﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ﴾	الفرقان	٢٧	٨٠
﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾	الفرقان	٢٨	٨٠
﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي﴾	الفرقان	٢٩	٨٠
﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾	الفرقان	٦٣	١٢٠
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ﴾	العنكبوت	٤٥	٩٦
﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾	لقمان	١٨	٧١
﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾	الزمر	١٦	١٦٥
﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ﴾	فصلت	٣٤	١٥٤=١٢١
لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾	الشورى	١١	١٤
﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾	الشورى	٤٠	١٥٤=١١٩
﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ﴾	الزخرف	٦٧	٦٨
﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾	الزخرف	٦٨	٦٨
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾	الحجرات	١٠	١٣١
﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	الذاريات	٥٥	١٤٢

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾	الطور	١٩	١٢٣
﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ﴾	الحشر	١٨	١١٤
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾	القلم	٤	٨٢=٦٤
﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾	المزمل	٨	٨٨
﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾	الإنسان	٨	١٢٩
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾	عبس	١	٩٣
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	الشمس	٩	١١٤
﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾	الشمس	١٠	١١٤

فهرس الأحاديث النبوية

أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا	٨٣
إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ	٩٧
إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ	١٥٥
إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا	١٥١
إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ	٩٢=١٥٠
إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَغُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا	٩٩
إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ	٧٢=١٥٢
إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ	١٥٩
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ	٩٢=١٤٩
إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا	٦٠=١٤٦
إِنَّ مِنَ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ لِأَبَوَيْكَ مَعَ صَلَاتِكَ	١٢٣
إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا	٨٣
إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ	٥٩
إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ	١٥٨
أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ	٨٣
أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ	٦٧
الْإِيمَانُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ، وَغِلَظُ الْقُلُوبِ وَالْجَفَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ	١١٤
أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ	٥٧=١٤٦
إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ	٥٨=٦٠=١١٣
أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟	٨١

أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا، فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ	١١٠
بَارَكَ اللَّهُ لَكَ أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ	١٢٤
بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا	٨٨
التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ	٦٣
تَأْتِيكُمْ مِنْ بَعْدِي أَرْبَعُ فِتَنٍ	١٥٦
تبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ	٧٣=١٤١
تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ	١٤٤
تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ	١٠٢
تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ	١١٢
اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ	١٤٤
اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ	١٥١=١٦٥
تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ	٨٢
تَهَادَوْا تَحَابُّوْا	٨١
ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ	٧٧=١٦٢
ثَلاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ بِوَالِدَيْهِ	٦٣
ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ	٦٧
جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	١٦٢
حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاة	٨٦=٩٦
حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ	٧٢=١٠٩=١٣٤
حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ	١٠٤

خِيَارُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَرَدَّ السَّلَام	١٤٤
الدِّينُ النَّصِيحَةُ	٦٩
رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ	٦٢=١٤٧
الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ	٦٨
الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ	١٠٢
السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	١٣٠
شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ	١٣٩
الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ	١٠٣
الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ	١٦٠
الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا	٩٦
صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ	١٠٣=١١٧
طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ	٨٦
طِيبُ الْكَلَامِ وَبَذْلُ السَّلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَام	١٣٥
اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ	١٤٥
عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ	٩٦
عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ	١٥٦
عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ	١٣٠
عِنْدَ اللهِ خَزَائِنُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ	١٢٢
اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ	١٦٢
فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ	٨٧

فَتَقُوْلُ الْمَلاَئِكَةُ: يَا رَبّ، إنّ فِيهِمْ فُلاَنًا لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ	٦٨
فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ	٦٠
فَلَا يُقَصَّرُ بِالرَّجُلِ الْعَالِي الْقَدْرِ عَنْ دَرَجَتِهِ	٥٨
فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ	١٥٣
كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ	١٣٠
كَلَامُ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ	١٠٦
لَا إِيمَانَ –أي كامل– لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ	١٦٢
لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا	١٥٧
لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلَاتٍ	٨٧
لا تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ	٧٥
لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ	١٥٣
لاَ يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا	١٤٨
لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ	١١٣
لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا	١٤٢
لَا يُصَلِّي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَلَا يَصُومُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ	١٢٣
لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ	٩٩
لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ	٨١
لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنا	٦٤=١٣٣
لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشِ وَلاَ البَذِيءِ	٧٣
الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ	٩٢

الْمُؤْمِنُ مَأْلَفَةٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ	١١٣
المسْلِمُ أَخُو المسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ	١٣١=١٢٧
مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إِلَّا لَهُ بِطَانَتَانِ	١٠٠
مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟	١١٦
مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلاَّ قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ	١٤٧
مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ	٧٨
مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ	١٤٧
مَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟	١٢٠
مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ	١٥٢
مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ	٨٠
مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ	١٠١
مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ	١١٢=٩٠
الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ	١٠٦=٨٩
مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا؟ كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ	٩٧
مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ	٦٦
مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ	١٥٧
مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ	١٦٠
مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُظِلَّهُ اللهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ	١٠٤=٧١
مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ	١٠٢
مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ	١١٨

إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ	١٣٤
يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ	٨٣
يَا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟	١٢٦
يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي	١١٠
يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ	٦٢
يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ	٨٥
يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ	١٣٥
يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ	١٥٩
يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ	٧٣

فهرس المصادر والمراجع

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (-٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (-٢٥٦هـ/٨٦٦م)، **صحيح البخاري**، تحقيق محمد زهير ابن ناصر الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (-٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، **شعب الإيمان**، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (-٢٧٩هـ/٨٩٢م)، **سنن الترمذي**، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ط، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (-٥٩٧هـ/١٢٠١م)،

❖ **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، تحقيق إرشاد الحق الأثري، فيصل آباد، إدارة العلوم الأثرية، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

❖ **صفة الصفوة**، تحقيق أحمد بن علي، مصر، دار الحديث، د.ط، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (-٤٠٥هـ/١٠١٤م)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (-٣٥٤هـ/٩٦٥م)،

❖ **صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

❖ **روضة العقلاء**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (-٢٤١هـ/٨٥٥م)، **مسند أحمد**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (-٤٦٣هـ/١٠٧٢م)،

❖ **تاريخ بغداد**، تحقيق د. بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

❖ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تحقيق د. محمود الطحان، الرياض، مكتبة المعارف، د.ط، د.ت.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي الإربلي (-٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط١، د.ت.

- خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني (-٢٤٠هـ/٨٥٤م)، **الطبقات**، تحقيق د. سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- ابن دقيق العيد، أبو الفتح محمد بن علي بن وهب (-٧٠٢هـ/١٥٣٨م)، **شرح الأربعين النووية**، بيروت، مؤسسة الريان، ط٦، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (-٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **مناقب أبي حنيفة وصاحبيه**، تحقيق محمد زاهد الكوثري وأبو الوفاء الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- الزبيدي، مرتضى محمد بن محمد الحسيني (-١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، **إتحاف السادة المتقين**، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت،
- السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي (-٢٧٥هـ/٨٨٨م)، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-٩١١هـ/١٥٠٥م)،

❖ **تبييض الصحيفة**، تحقيق محمود محمد محمود حسن نصار، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

❖ **طبقات الحفاظ**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

- ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (-٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، **طبقات الفقهاء الشافعية**، تحقيق محيي الدين علي نجيب، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (-٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، د.ط، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- صلاح الدين، محمد بن شاكر بن أحمد (-٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، **فوات الوفيات**، بيروت، دار صادر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- الصَّيْمَري، أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الحنفي (-٤٣٦هـ/١٠٤٤م)، **أخبار أبي حنيفة وأصحابه**، بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (-٣٦٠هـ/٩٧١م)، **المعجم الصغير**، تحقيق محمد شكور ومحمود الحاج أمرير، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن البخاري القِنَّوجي (-١٣٠٧هـ/١٨٩٠م)، **التاج المكلل**، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (-٨٥٢هـ/١٤٤٨م)،

❖ **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

❖ **تهذيب التهذيب**، الهند، دائرة المعارف النظامية، ط١، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

❖ **الدرر الكامنة**، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

❖ **لسان الميزان**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

❖ **نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، تحقيق د. كمال يوسف الحوت، بيروت، دار المشاريع، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

- العلموي، عبد الباسط بن موسى بن محمد (-٩٨١هـ/١٣٥٢م)، **المعيد في أدب المفيد والمستفيد**، تحقيق مروان العطية، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العَكري الحنبلي (-١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق محمود الأرناؤوط، بيروت، دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (-٥٠٥هـ/١١١١م)، **إحياء علوم الدين**، بيروت، دار المعرفة، د.ط، د.ت.
- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد الأسدي الدمشقي (-٨٥١هـ/١٤٤٧م)، **طبقات الشافعية**، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٨م.
- ابن القرشي، أبو محمد محيي الدين الحنفي عبد القادر بن محمد (-٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، كراتشي، مير محمد كتب خانه، د.ط، د.ت.
- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (-٦٧١هـ/١٢٧٣م)، **تفسير القرطبي**، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر (-٩٢٣هـ١٥١٧م)، **إرشاد الساري**، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، ط٧، ١٣٢٣هـ/١٩٠٨م.
- ابن قُطلُوبغا، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم الحنفي (-٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، **تاج التراجم**، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف (-٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، **إنباه الرواة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٢م.

- الكتاني، أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض (-١٣٤٥هـ/١٩٢٧م)، **الرسالة المستطرفة**، تحقيق محمد المنتصر ابن محمد الزمزمي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط٦، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (-٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، **البداية والنهاية**، تحقيق علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الكردري، محمد بن محمد (-٨٢٧هـ/١٤٢٤م)، **مناقب أبي حنيفة**، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- اللكنوي، أبو الحسنات محمد عبد الحي الهندي، (١٣٠٤هـ/١٨٨٧م)، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، تحقيق، محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، مصر، دار السعادة، ط١، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (-٢٧٣هـ/٨٨٧م)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت.
- المزي، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن القضاعي (-٧٤٢هـ/١٣٤٢م)، **تهذيب الكمال**، تحقيق د. بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (-٢٦١هـ/٨٧١م)، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت.
- ابن المكي، أحمد بن محمد موفق الدين القرشي (-٥٦٨هـ/١١٧٢م)، **مناقب أبي حنيفة**، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله (-٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، **الترغيب والترهيب**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- أبو منصور البغدادي، عبد القاهر بن طاهر التميمي (-٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، **أصول الدين**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- نعيم بن حماد بن معاوية المروزي (-٢٢٨هـ/)، **كتاب الفتن**، تحقيق سمير أمين الزهيري، القاهرة، مكتبة التوحيد، ط١، ١٤١٢هـ١٩٩١م.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف (-٦٧٦هـ/١٢٧٧م)،

❖ **التبيان**، محمد الحجار، بيروت، دار ابن حزم، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

❖ **تهذيب الأسماء واللغات**، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

❖ **المنهاج**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٣٩٢م.

- الهيتمي، شهاب الدين أحمد بن حجر (-٩٧٤هـ/١٥٦٧م)، **مناقب أبي حنيفة النعمان**، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ط، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي (-٧٦٨هـ/١٣٦٧م)، **مرءاة الجنان**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (-٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

فهرس الموضوعات

وَأَكْثِرِ اسْتِعْمَالَ الطِّيْبِ	٨٦
وَقَرِّبْ مَجْلِسَكَ وَلْيَكُنْ ذَلِكَ فِيْ أَوْقَاتٍ مَعْلُوْمَةٍ	٨٧
وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ خَلْوَةً ترمُّ بِهَا حَوَائِجَكَ	٨٨
وَابْحَثْ عَنْ أَخْبَارِ حَشَمِكَ، وَتَقَدَّمْ فِيْ تَقْوِيْمِهِمْ، وَتَأْدِيْبِهِمْ	٩٠
وَاسْتَعْمِلْ فِيْ ذَلِكَ الرِّفْقَ	٩١
ولا تُكْثِرِ العَتَبَ فيهُونَ العذْلُ	٩٣
وَلَا تلِ تَأْدِيْبَهُمْ بِنَفْسِكَ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِمَائِكَ وَأَهْيَبُ لَكَ	٩٤
وَحَافِظْ عَلَى صَلَوَاتِكَ	٩٥
وَابْذُلْ طَعَامَكَ، فَإِنَّهُ مَا سَادَ بَخِيْلٌ قَطُّ	٩٧
وَلْيَكُنْ لَكَ بِطَانَةٌ تُعَرِّفُكَ أَخْبَارَ النَّاسِ فَمَتَى عَرَفْتَ بِفَسَادٍ بَادَرْتَ إِلَى صَلَاحٍ، وَمَتَى عَرَفْتَ بِصَلَاحٍ فَازْدَدْ رَغْبَةً وَعِنَايَةً فِيْ ذَلِكَ	١٠٠
وَاعْمَدْ فِيْ زِيَارَةِ مَنْ يَزُوْرُكَ وَمَنْ لَا يَزُوْرُكَ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، أَوْ أَسَاءَ	١٠٢
وَخُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ	١٠٤
وَتَغَافَلْ عَمَّا لَا يَعْنِيْكَ	١٠٥
وَاتْرُكْ كُلَّ مَنْ يُؤْذِيْكَ	١٠٦
وَبَادِرْ فِيْ إِقَامَةِ الْحُقُوْقِ	١٠٧
وَمَنْ مَرِضَ مِنْ إِخْوَانِكَ فَعُدْهُ بِنَفْسِكَ، وَتَعَاهَدْهُ بِرُسُلِكَ	١٠٩
وَمَنْ غَابَ مِنْهُمْ فتَفَقَّدْ أَحْوَالَهُ. وَمَنْ قَعَدَ مِنْهُمْ عَنْكَ فَلَا تَقْعُدْ أَنْتَ عَنْهُ	١١

وَصِلْ مَنْ جَفَاكَ	١١٣
وَأَكْرِمْ مَنْ أَتَاكَ	١١٥
وَاعْفُ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ	١١٧
وَمَنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمْ بالقبيحِ فِيْكَ فَتَكَلَّمْ فِيْهِ بِالحَسَنِ الجَمِيْلِ	١١٩
وَمَنْ مَاتَ قَضَيْتَ لَهُ حَقَّهُ	١٢١
وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فَرْحَةٌ هَنَّيْتَهُ بِهَا	١٢٣
وَمَنْ كَانَتْ لَهُ مُصِيْبَةٌ عَزَّيْتَهُ عَنْهَا	١٢٥
وَمَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ فَتَوَجَّعْ لَهُ بِهِ	١٢٧
وَمَنِ اسْتَنْهَضَكَ لِأَمْرٍ مِنْ أُمُوْرِهِ نَهَضْتَ لَهُ	١٢٧
وَمَنِ اسْتَغَاثَكَ فَأَغِثْهُ	١٢٩
وَمَنِ اسْتَنْصَرَكَ فَانْصُرْهُ	١٣١
وَأَظْهِرِ التَّوَدُّدَ إِلَىَ النَّاسِ مَا اسْتَطَعْتَ	١٣٢
وَأَفْشِ السَّلَامَ، وَلَوْ عَلَى قَوْمٍ لئامٍ	١٣٤
وَمَتَى جَمَعَكَ وَغَيْرَكَ مَجْلِسٌ أَوْ ضَمَّكَ وَإِيَّاهُمْ مَسْجِدٌ، وَجَرَتِ الْمَسَائِلُ، وَخَاضُوْا فِيْهَا بِخِلَافِ عِنْدَكَ، لَمْ تُبْدِ لَهُمْ مِنْكَ خِلَافًا. فَإِنْ سُئِلْتَ عَنْهَا! أَجَبْتَ بِمَا يَعْرِفُهُ الْقَوْمُ، ثُمَّ تَقُوْلُ: وَفِيْهَا قَوْلٌ ءاخَرُ كَذَا، وَحُجَّتُهُ كَذَا، فَإِذَا سَمِعُوْا مِنْكَ عَرَفُوا قَدْرَكَ وَمِقْدَارَكَ، وَإِنْ قَالُوْا: هَذَا قَوْلُ مَنْ؟ فَقُلْ قَوْلُ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ. وَإِنِ اسْتَقَرُّوْا عَلَى ذَلِكَ، وَأَلِفُوْهُ، وَعَرَفُوْا مِقْدَارَكَ وعَظَّمُوْا مَحَلَّكَ، فَأَعْطِ كُلَّ مَنْ يَخْتَلِفُ إِلَيْكَ نَوْعًا مِنَ الْعِلْمِ يَنْظُرُوْنَ فِيْهِ،	١٣٥

وَيَأْخُذُ كُلٌّ مِنْهُمْ بِحَظِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ	
وخُذْهُم بِجَلِيِّ الْعِلْمِ دُوْنَ دَقِيْقِهِ	١٣٩
وَءَانِسْهُمْ وَمَازِحْهُمْ أَحْيَانًا	١٤١
وَحَادِثْهُمْ، فَإِنَّهَا تَجْلِبُ الْمَوَدَّةَ وَتَسْتَدِيْمُ بِهِ مُوَاظَبَةَ الْعِلْمِ	١٤٢
وَأَطْعِمْهُمْ أَحْيَانًا	١٤٣
وَاقْضِ حَوَائِجَهُمْ	١٤٥
وَاعْرِفْ مِقْدَارَهُمْ	١٤٦
وَتَغَافَلْ عَنْ زَلَّاتِهِمْ	١٤٨
وَارْفُقْ بِهِمْ	١٤٩
وَسَامِحْهُمْ	١٥٠
وَلَا تُبْدِ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ضِيْقَ صَدْرٍ أَوْ ضَجْرًا	١٩٣
وَكُنْ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ	١٥٢
وَارْضَ مِنْهُمْ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ وَعامِلِ الناسَ مُعامَلتَكَ لِنَفْسِكَ	١٥٢
وَاسْتَعِنْ عَلَى نَفْسِكَ بِالصِّيَانَةِ لَهَا، وَالْمُرَاقَبَةِ لِأَحْوَالِهَا	١٥٣
وَلَا تَضْجَرْ لِمَنْ لَا يَضْجَرُ عَلَيْكَ	١٥٤
وَدَعِ الشَّغَبَ	١٥٥
وَاسْتَمِعْ لِمَنْ يَسْتَمِعُ مِنْكَ	١٥٦
وَلَا تُكَلِّفِ النَّاسَ مَا لَا يُكَلِّفُوْكَ وَارْضَ لَهُمْ مَا رَضُوْا لِنَفْسِهِمْ	١٥٧
وَقَدِّمْ حُسْنَ النيّة	١٥٨